وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

المعرفة التاريخية في كتب التراجم المغاربية كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م) أنموذجا

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

أسامة بده زكري

إشراف:

أ. الدكتور: إبراهيم بحاز

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
صالح بوسليم	أستاذ محاضر"أ"	جامعة غرداية	رئيساَ
إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
عبد الحميد خالدي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر	عضواَ مناقشاَ
محمد بن عميرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضواَ مناقشا

الموسم الجامعي

(1435-1436هـ/2014-2015م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

الوالدين الكريمين وإلى

كل أهل العلم والمعرفة والصبر

والثبات على المبادئ أينما كانوا

شكر وامتنان

أسدي شكري الخالص إلى أستاذي المشرف على هذا العمل على وقوفه وتحمله معي طوال فترة إعداد البحث، وهو الغني عن كل تعريف الأستاذ الدكتور إبراهيم بكير بحاز وإلى كل الأساتذة الكرام الذين تولوا تدريسنا طوال فترة العام النظري، وعلى ما تفضلوا به من قريب أو من بعيد فيما يفيد جودة هذا البحث وإلى كل زملائي الأفاضل وزميلاتي الفضليات وإلى كل من أسهم وأعان.

المختصرات والرموز الواردة في المذكرة

1- المختصرات باللغة العربية:

بلا تا. بلا تاريخ الطبع.

ت. توفي.

تر. ترجمة.

تر ر. ترجمة رقم.

تح. تحقيق.

ج. الجزء

د. دكتور

د.م.ن. دون مكان النشر

ص. صفحة.

ط. طبعة.

ق. قرن

م. ميلادي.

نش. نشر.

هـ. هجري.

رقم/رقم ثان: الرقم الأول الموجود على يمين العمود المائل يرمز إلى جزء الكتاب، أما الرقم الموجود على يساره فيرمز إلى الصفحة.

رقم – رقم آخر: الصفحات التي تنحصر أرقامها ما بين الرقمين.

رقم ، رقم آخر: الصفحتان اللتانِ بينهما الفاصلة فقط.

... :كلام مبتور قصد الاختصار.

2- المختصرات باللغة الفرنسية

S.N.E.D. Société Nationale d'Edition et de diffusion.
S.D. Sans Date.
P. Page.

مقدمة

مقدمة

عرفت الكتابة التاريخية في العصور الوسطى الإسلامية تألُّقا معتبرا، وأنتجت مناهج متعددة وكمًّا معتبرا من المصنفات ذات المجلدات العديدة.

من هنا جاء اهتمامي بالتأريخ لهذا التاريخ، أي تاريخ الكتب التاريخية، وهو تاريخ لمؤلفيها وخاصة للكتاب المُراد دراسته وتحليله في مذكرتي هذه.

وقع اختياري على المدرسة المغربية المالكية، وعلى أبي العرب محمد بن أحمد التميمي مُؤَلِّفًا، فكان عنوان دراستي هذه هو:

المعرفة التاريخية في كتب التراجم المغاربية كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م) أنموذجا.

وذلك من خلال دراسة تحليلية للكتاب المذكور، لمعرفة طريقة الكتابة التاريخية عند أبي العرب، وكل ذلك ماذا يفيدنا من معارف تاريخية.

1- التعريف بالموضوع وبيان أهميته:

شَكَّلَتْ كتابات أبي العرب التاريخية، إحدى أهم الحلقات المنتظمة في الكتابة التاريخية ببلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد، إذْ أننا نُعْنىَ في هذا الموضوع بدراسة اتجاه من اتجاهات التأليف التاريخي، وهو "التأْريخ بالطبقات"، أي اتخاذ كتب الطبقات كأحد وسائل الكتابة التاريخية وأحد أوعيتها، ومن خلال النموذج المطروح وهو "كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس" أحاول أن أُبَيِّن هذه الأهمية.

يسلط هذا الموضوع الضوء، على أحد المصادر المهمة في تاريخ المغرب الإسلامي وهو السابق ذكره، حيث أحاول من خلال هذه الدراسة أن أبرز الجوانب الإيجابية من أهميته

إن تناول مثل هذه المواضيع، ليدخل في صميم المشروع الذي ينضوي تحته العمل في إعداد هذه المذكرة، وهذا المشروع من خلاله شاركت في مسابقة الماجستير وبعد النجاح درست سنة كاملة، وعنوانه: "**المدرسة التاريخية المغاربية البدايات – الاستمرار – النهايات**".

2– دواعي اختيار الموضوع:

لا شك أن طرح أي موضوع للدراسة، لا يأتي من فراغ وإنما تكون هناك دواعي أدت بعد البحث والاستقصاء، إلى الشروع في العمل فيه ومناقشته، وموضوع مذكرتي هذه لا يخرج عن هذا النطاق، ويمكن ترتيب دواعي اختياري لهذا الموضوع كالآتي:

– بعدما بحثت جيدا توصلت إلى نتيجة مفادها قلة الإقبال على مثل هذه المواضيع بشكل عام، وأبي العرب وكتبه بشكل خاص، لا سيما ما يتعلق منها بالطبقات والتراجم، سوى دراسة واحدة قام بها الباحث زاهر بن سالم بلفقيه، وعنوانها: مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني محمد بن أحمد التميمي (251 – 333هـ) حياته – مؤلفاته – أقواله في الرجال، وهي منشورة في كتاب طُبِعَ سنة 2012م، وقد عرفت قلة الاشتغال بهذه المواضيع من خلال الاطلاع على كثير من الدراسات المنجزة في إطار (المدارس التاريخية ومناهجها) ولا أدري ما السبب في العزوف عن طَرْق مثل هذه الأعمال حتى من قبل بعض كبار الباحثين في هذا المجال، ولا يقتصر الأمر على من هم دونهم فقط، وعلى كل حال آمُلُ أن يكون عملي هذا حافزا للشروع في مثل هذه المواضيع، دفعا لعجلة تطوير الدراسات التاريخية وتوسيع مجالاتها.

– هناك بعض من يتصدى لتحقيق مخطوط، موضوعه مثل طبقات أبي العرب الذي نحن بصدد دراسته، فيتعرَّض المحقق إلى الكلام عن المؤلف ومنهجه في كتابه، ويشير إلى بعض خصائص الكتاب الأخرى كما سأفعل، ولكن ذلك يتم بشكل مقتضب ضمن مقدمة التحقيق أو قسم الدراسة أو حتى بشكل عابر في بعض أعمال التحقيق، وكل هذا يجوز أن يكون، إما لأن التوسع في دراسة الكتاب المعيَّن لازم أن يكون بشكل مستقل، أو أن طبيعة عمل المحقق تقتصر على تحقيق النص أولا وأخيرا دون الإكثار من غير ذلك بشكل أو بآخر

لذا كان عملي هذا دعوة إلى إفراد هذا النوع من الدراسات عن أعمال التحقيق، كي تُسْبَرَ أغوارها ويقع فيها التحليل أعمق.

– العمل في مثل هذا الموضوع يعطي فكرة عن المناهج السائدة في الكتابة التاريخية في زمن أبي العرب، وهو القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد، حيث ازدهر التأليف التاريخي مشرقا ومغربا.

– كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب، رغم أنه تأليف في التراجم، إلا أننا لا نعدم استفادة منه في التأريخ لجوانب عديدة، من أحوال إفريقية بلده وبلد العلماء اَلْمُتَرْجَمِ لهم، لذا كشفت الدراسة التحليلية والتي قمت بها، عن كثير من قيم هذا الضرب من التأليف التاريخي.

3– الإشكالية التي تعالجها هذه الدراسة:

العنوان الذي نحن بصدد العمل تحته في هذه المذكرة هو في حد ذاته إشكالية، بحكم أنه جديد في ساحة الدراسات التاريخية، والذي يمكن أن نُثَبِّتَهُ كإشكاليات فرعية نحاول الإجابة عليها بما يلي:

– ما المكانة التي احتلها أبو العرب، بين مؤرخي بلاد المغرب الإسلامي في عصره؟ حيث أن بعض من ترجم له يصفه بـ: "حامل لواء التاريخ بإفريقية" كما سيأتي.

– ثم لما كان كذلك، ما مدى تميُّزه في كتاباته التاريخية عن غيره من خلال كتابه هذا؟

4– مناهج البحث:

إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج الواجب إتباعه، لذلك سأعتمد في هذا البحث عبر مختلف عناصره التي تُكَوِّنُهُ، مناهج علمية تُستعمل في مجال الدراسات التاريخية وهي الآتية:

– المنهج الاستقرائي ثم الانتقائي في جمع المادة العلمية للموضوع، ثم الاستعانة بالمنهج الوصفي لعرض معالم كتاب الطبقات لأبي العرب.

- المنهج التحليلي: استفدنا منه في مناقشة الأفكار المطروحة في فصول الدراسة.

5- الخطة المعتمدة في الدراسة:

بما أن الموضوع الذي نشتغل فيه متعلِّق بأحد علماء إفريقية، وهو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، وكذلك المعرفة التاريخية في أحد كتبه وهو "طبقات علماء إفريقية وتونس"، اهتديت إلى أن يكون من الأفضل تقسيم العمل إلى أربعة فصول، أولها وهو متعلق بالمعرفة التاريخية في كتب تراجم المالكية قبل وبعد وفاة أبي العرب عام 333هـ/944م، ودراسة نماذج تنتمي زمنيا للفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجريين/التاسع إلى الرابع عشر للميلاد، ثم الفصل الثاني ويتعلق بعصر المؤلف وذلك من خلال معرفة الأوضاع العامة لبلده إفريقية، ثم الفصلان الثالث والرابع، ففي الثالث الكلام عن حياة أبي العرب، وفي الرابع الدراسة التحليلية لكتابه المذكور، وعلى هذا كان لهاته الفصول عناصر تمثلت في مباحث ومطالب وفروع.

ويتعلق الفصل الأول بالمعرفة التاريخية في كتب تراجم المالكية قبل وبعد وفاة أبي العرب قسمته إلى ثلاثة عناصر:

الأول منها حول كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب، وتنحصر في نموذجين هما "طبقات العلماء" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ/869م)، و"علماء إفريقية" لمحمد بن حارث الخشني (ت بعد 381هـ/991م).

وتناول الثاني كتب تراجم المالكية بعد وفاة أبي العرب، من خلال أربعة نماذج، بين القرن الخامس والثامن الهجريين، وهي كتاب "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م)، وكتاب "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م)، وكتاب "معالم الإيمان" للدباغ (ت 696هـ/1296م)، وأخيرا كتاب "الديباج المذهب" لابن فرحون (ت 799هـ/1396م)، وكل هذه النماذج سأدرسها في مكانها.

يأتي بعد ذلك الثالث، والذي سلط الضوء على المعرفة التاريخية من خلال هذه النماذج، وهذا من ناحية المُستفاد منها في التاريخ السياسي والاقتصادي ثم التاريخ الاجتماعي والثقافي ثم التاريخ الإداري والعسكري، وهنا نهاية هذا الفصل.

وبالنسبة للفصل الثاني وهو خاص بأوضاع إفريقية العامة بلد أبي العرب، فقُسِّم إلى ثلاثة عناصر، أولها يدور حول الأوضاع السياسية السائدة في إفريقية أيام أبي العرب الذي عاصر الأغالبة في أواخر عهدهم والفاطميين في بدايته.

أما الثاني فكان حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، زمن الحكام الذين عاصرهم أبو العرب، من الأغالبة والفاطميين بتسليط الضوء على عناصر السكان التي تشكِّل مجتمع إفريقية وطبقاته، وعلى الحالة الاقتصادية بالتعرُّف على الزراعة والصناعة والتجارة والضرائب وكل ما يدخل في حكم ذلك.

كما كان الكلام أيضا عن الحياة الدينية والفكرية في العنصر الثالث والأخير، حيث نعرف المذاهب والفرق التي وجدت موطئ قدم على أرض إفريقية، وأيضا ما كان من علوم كان أبو العرب واحدا من المشاركين فيها.

ومعلوم أن تشخيص الحالة العامة في أي بلد وفي جميع المجالات، يساعد على فهم الكثير من القضايا التي تطرأ داخل ذلك البلد، ومن المؤكد والأمر هكذا أن للأحوال العامة في عصر أبي العرب ببلده إفريقية تأثير مباشر على حياته بمجملها، ومن ثم يتعدى ذلك إلى التأثير على نمط تفكيره فإنتاجه العلمي.

وبخصوص الفصل الثالث، فهو يتعلَّق بالكلام عن مُفصَّل حياة أبي العرب، وقد كان تناولي لذلك من خلال عناصر ثلاثة، جعلت الأول منها حول التعريف بأبي العرب وذلك من خلال ثلاثة مطالب، أولها عن اسمه وأصله ونسبه، وثانيها حول مولده ونشأته وكيف كان متميزا منذ نعومة أظفاره، أما الثالث فقد خَصَّصْتُهُ لوفاته.

أما الثاني فتناولت فيه سيرته العلمية، وذلك من خلال ثلاثة عناصر، أولها حول تعلُّمه وشيوخه ورحلاته، والثاني حول تلامذته والثالث حول مؤلفاته، مع ملاحظة الكثرة الكاثرة لشيوخة، وإفاداته المختلفة لكل من أخذ عنه وإجادته في مؤلفاته.

والثالث جعلته للكلام على جوانب أخرى في حياة أبي العرب، وذلك من خلال ثلاثة عناصر، أولها حول عمله ومصدر رزقه وكيف وُفِّقَ أبو العرب في الموازنة بين مسؤوليته كرب أسرة يُعِيلُهَا وبين مشاغله العلمية والتعليمية، والثاني فيما يخص دفاعه عن ثوابته خاصة أمام تسلُّط الفاطميين، أما الثالث فخصَّصْته لشاعريته والثناء عليه من قِبَلِ من ترجم له، وفي الواقع يحتاج شعر أبي العرب إلى جمع وتحقيق، وهذا عمل ربما سأقوم به مستقبلا إن شاء الله.

بعد هذا يأتي الفصل الرابع والأخير في هذه المذكرة، وهو المتعلِّق بالدراسة التحليلية لكتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب الذي درسنا حياته سابقا، وقد كان العمل في هذا الفصل جاريا على ثلاثة عناصر مع التفصيلات اللازمة.

فالأول يتناول التعريف بكتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، من خلال الأصول الخطية للكتاب، وثانيا تحقيقه ونشره، أما ثالثا فعنوان الكتاب.

وبالنسبة للثاني، فقد تمحور حول موارد أبي العرب في كتابه هذا، ففيه أولا الموارد الصريحة والتي انتظمت في ثلاثة فروع، كان أولها حول الأشخاص الذين نقل عنهم معلوماته حول مُتَرْجَمِيهِ، وثانيها كان حول الكتب التي طالعها واستفاد منها، أما الثالث فحول حضوره الشخصي واستقصائه أحوال المترجَم لهم، ثم تعرضت بعد ذلك للموارد المجهولة وأخيرا تناولت توظيف أبي العرب لموارده في كتابه.

يأتي بعد ذلك العنصر الثالث الذي عنوانه: تقسيم الكتاب، ففيه أولا أبو العرب والتراجم الواردة في كتابه، وثانيا ملاحظات حول التراجم التي وردت في الكتاب، وقد تناولت ذلك في ثلاثة فروع أولها حول طولها وقِصَرِهَا وثانيها حول الالتزام بموضوع الترجمة والخروج عنه، وثالثها كان حول صياغة وتركيب معلومات التراجم.

6– مصادر ومراجع البحث:

تم الاعتماد في انجاز هذا البحث، على مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة باللغتين العربية والفرنسية، تتراوح أهميتها حسب معالجتها للموضوع المطروح، ومنها كتب التاريخ والجغرافية والتراجم والطبقات والأنساب، وقد استولى الفصل الثاني على النصيب الأكبر من الإحالات عليها، كما رجعت إليها في الفصل الثالث، وأهم ما أذكر منها:

أولا: المصادر

أ– كتب التاريخ:

– "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي المتوفى سنة 712هـ/1312م، وقد أفادني في التاريخ السياسي لبعض أمراء الأغالبة، وتقريبا هو المصدر الوحيد الذي فيه تفصيل حول دولتهم، إذ أن معظم المصادر الأخرى التي أرَّخت لهم في حكم المفقود أو هي موجودة وفيها اقتضاب كبير، وأيضا أفاد البحث في بعض جوانب الحالة الاقتصادية.

– "إفتتاح الدعوة" للقاضي النعمان المتوفى سنة 363هـ/973م، وهذا الكتاب يُعد تاريخا شاملا موسعا للدعوة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب، وأفاد في بعض ما يخص قائدها أبو عبد الله الشيعي، في العنصر الأول من الفصل الثاني.

– "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" لابن حماد الصنهاجي المتوفى سنة 626هـ/1228م أُستُعمل في تدعيم المعلومات الخاصة بأخبار ثورة أبي يزيد اليفرني صاحب الحمار على الفاطميين.

– "تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب" – القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار– للداعي عماد الدين إدريس المتوفى سنة 872هـ/1467م، وأفاد في معرفة معارك أبي عبد الله الشيعي مع آخر أمراء الأغالبة من ناحية ما لا يوجد عند غيره في معرفة الأوضاع السياسية، وربما يُلاَحَظُ التركيز على استعمال هذه المصادر الثلاثة في مبحث الأوضاع السياسية، فأقول أن هذا هو مجال استعمالها.

استعملت أيضا بعض مصادر التاريخ، التي أفادتني لوضع تعريفات لما يُطْرَحُ من تسميات متعلِّقة بأحداث مختلفة وذلك مثل:

– "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير الذي عاش في القرن الثالث الهجري، و"وُلاة مصر" لمحمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة 350هـ/961م، و"المجالس والمسايرات" للقاضي النعمان المتوفى سنة 363هـ/973م، و"أخبار الدول المنقطعة" لابن ظافر الأزدي المتوفى سنة 613هـ/1216م، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير المتوفى سنة 630هـ/1232م، و"كتاب العبر" لابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م، و"أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" للمقريزي المتوفى سنة 845هـ/1441م، و"تاريخ مصر وفضائلها" لمؤلف مجهول من القرن العاشر الهجري.

ب– كتب الطبقات والتراجم والأنساب:

نظرا لأن طبيعة هذا النوع من المصادر، تتمثل في الكلام على الرجال من علماء وفضلاء وذكر ما يتعلق بحياتهم، فهي تذكر في ثنايا ذلك الكلام مادة يستفيد منها الباحث في التاريخ وأبرز ما أذكر منها:

–"رياض النفوس في علماء القيروان وإفريقية وتونس وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى سنة 474هـ/1081م، وأول ما استفدت منه في كلامي عن الحالة الاقتصادية، وتحديدا في معرفة أسماء بعض الأسواق بإفريقية حيث عاش أبو العرب، ويشترك معه في هذا كتاب "علماء إفريقية" للخشني المتوفى بعد سنة 381هـ/991م، كما تتضمن التراجم الواردة فيه أخبارا أفادتني في بحثي غير ما مرة.

– "ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عياض المتوفى سنة 544هـ/1149م، استفدت منه في الكلام عن الحالة المذهبية بإفريقية، خاصة في زمن أبي العرب، وكيف كان المذهب المالكي يصارع من أجل البقاء.

واستفدت في تشخيص الحالة الدينية والمذهبية بإفريقية زمن أبي العرب، من كل من "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" لعبد الرحمان الدباغ المتوفى سنة 696هـ/1296م

و"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون المالكي المتوفى سنة 799هـ/1396م، وذلك من خلال سِيَرِ بعض المُترجَمِينَ من العلماء لديهما وما أفادوا به والمواجهات مع السلطة الفاطمية.

واستفدت أيضا من المصادر الخاصة بالمذاهب والفرق المختلفة ورجالاتها، التي ظهر بعضها على الساحة بإفريقية خاصة زمن أبي العرب، مثل كتب المذاهب الأربعة والمذهب الإباضي والمعتزلة، وقد أخذت منها تعريفات لهذه المذاهب، سيأتي بيانه في مكانه من البحث، كما كنت استفدت من مصنفات أبي العرب نفسه، من خلال المطبوع منها مثل "طبقات علماء إفريقية وتونس" الذي يتمحور حوله بحثي هذا، وكذلك كتابه "المحن" الذي فيه إفادة كبيرة للباحثين في مجال العلاقة بين السلطة والعلماء.

بعض كتب الأنساب أفادتني خلال الكلام على أبي العرب في الفصل الثالث مثل "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة 456هـ/1063م، و"الإنباه على قبائل الرواة" لابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463هـ/1070م، و"الأنساب" للسمعاني المتوفى سنة 562هـ/1166م، و"عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب" لأبي بكر الحازمي المتوفى سنة 583هـ/1187م.

ج- كتب الجغرافية:

استعملتها في معرفة وتحديد الأماكن التي ترد أثناء البحث، وكانت فائدتها الكبرى في الكلام على الحالة الاقتصادية بإفريقية في عصر أبي العرب، وخاصة الزراعة والصناعة والتجارة والضرائب، ومن تلك المصادر أذكر ما يلي:

"كتاب البلدان" لأبي العباس اليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/897م، و"صورة الأرض" لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة 367هـ/977م، و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ/1164م، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ/1228م.

ثانيا: المراجع

إضافة إلى المصادر التي ذكرتها آنفا، استفدت من مجموعة من المراجع العربية والفرنسية والمُعَرَّبة والمقالات، ومن بين أهم هذه المراجع:

-"مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني محمد بن أحمد التميمي (251 - 333هـ) حياته - مؤلفاته - أقواله في الرجال" لـ: زاهر بن سالم بلفقيه، و"فتح العرب للمغرب" لحسين مؤنس، و"الدولة الأغلبية" لمحمد الطالبي، و"تاريخ المغرب في العصر الإسلامي" للسيد عبد العزيز سالم، و"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لمحمد مخلوف، و"مختصر تاريخ الإباضية" لأبي الربيع سليمان الباروني، و"ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية" لحسن حسني عبد الوهاب، و"القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي" للحبيب الجنحاني، و"الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية" لعبد العزيز المجذوب، و"الخلافة الفاطمية بالمغرب" لفرحات الدشراوي.

ومن المراجع المُعَرَّبة التي استعت بها أيضا: "تاريخ صقلية الإسلامية" لأحمد عزيز ترجمه أمين توفيق الطيبي، و"تاريخ الخلفاء والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري" لـ: استانلي لين بول، ترجمه عباس إقبال ومكي طاهر و"أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية" لبرنارد لويس، راجعه وقدَّم له خليل أحمد خليل كما استعملنا إحدى الرسائل الجامعية التي لها علاقة بموضوعنا، وأيضا بعض المقالات المُثْبَتة في قائمة المصادر والمراجع فَعُدْ إليها.

وبخصوص المراجع الأجنبية، استعملت بعضا منها بما وجدته مناسبا، ويجب على الباحث أن يتعامل معها بحذر، لأنها في مجملها لا تصفو من كدر، وغالبا ما يكتبها مؤلفوها لأغراض يريدونها أو تُرَادُ منهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر ليست كلها كما ذَكَرْتُ إِذْ لا نَعْدَمُ استفادةً منها وهي الآتية:

Les Schismes dans L'islam لهنري لاووست، و Monnaies Aglabide لمحمد أبو الفرج الحص، و La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age لجورج مارسي و L'islam des origines au début de l'Empire ottoman لكلود كاهن و

La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû l-Arlab (800 - 909) لفوندرهايدن، هذا وآمل أن أكون قد وُفِّقت لحسن الاستفادة من هذه المصادر والمراجع جميعها، رغم الصعوبات التي هي ما سنعرفه الآن.

7- صعوبات البحث:

لا بد وأن كل من يُقْدِم على عمل ما، بحجم الدراسة الأكاديمية وعمقها، تعترض سبيله عوائق وصعوبات، ولا أشذ عن هذه القاعدة، إذ أن أكبر صعوبة واجهتني هي نقص المادة العلمية في هذا الموضوع الذي أتناوله، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن الموضوع بِكْرٌ ولم يُؤلَّف فيه من قبل، وحتى الدراسة التي ذكرتها لزاهر بلفقيه حول أبي العرب، ليس لها تَعَرُّضٌ لموضوعي رغم أنني استفدت منها.

والصعوبة الأكثر من سابقتها، هي كيفية التعامل مع المادة العلمية المحصَّل عليها وتنسيقها وترتيبها كي تخرج بعدها في قالب جيِّد، حيث اضطرني ذلك أحيانا كثيرة إلى قضاء أوقات طويلة معها أزيد وأُنْقِص، فدراستي في تَأْرِيخِ التاريخ وليست في المواضيع التقليدية المعتادة.

كما كان من الصعوبات أيضا، تَعَذُّرٌ في كثير من الأحيان التوفيق بين البحث الذي أقوم به ومشاغل الحياة الأخرى، حيث ظننت في كثير من الأحيان أنني سوف أتأخر عن المدة المحددة للبحث، كما لا أخفيكم بأني عدة مرات طرحت البحث والعمل فيه جانبا نظرا لظروف صعبة مرت بي.

ومشكلة أخرى كانت لنا مع الحاسوب، إِذْ كثيرا ما تعرَّض ما قمت برقنه من مادة مُنْتَهًى منها، إلى المصادرة من طرف العديد من الفيروسات المدمِّرة رغم الاحتراز منها، ما اضطرني إلى الكتابة من جديد، والاشتغال بتعدُّد النسخ وتعدُّد أجهزة حفظها.

ولعل أبرز المشاكل التي كان لها تأثير مباشر على سير العمل في مذكرتي، هي أحداث غرداية المؤلمة والمعروفة عند الجميع، والتي حالت دون وصولي أكثر من مرة، إلى الأستاذ المشرف والاستفادة منه أكثر، ثم الأدهى والأمَّر من ذلك، هو تعديل عنوان مذكرتي من قِبَلِ أحد جهات إدارة الجامعة، ولم أُعْلَمْ بذلك ولا أستاذي المشرف، وهذا بعد أن أتممت العمل

على العنوان الذي كنت سجلت به أول مرة، وسُلِّمت لي به شهادة التسجيل وهو: **الكتابة التاريخية عند أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني** (ت **333**هـ/**944**م) **كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس نموذجا (دراسة تحليلية)**، ومنحني الأستاذ المشرف تقريره النهائي والإذن بالطبع على أساس العنوان الآنف، فإذا بي أُفَاجَأُ بالذي حصل، وقد سبَّب لي ذلك تأخُّرًا وتعبا وإرهاقا زائدا شفيعي فيها أنني استفدت علما آخر وإن كاد ذلك يؤخر موعد إيداع المذكرة عن الوقت المحدد.

ورغم كل ذلك، فقد بذلت قصارى جهدي في الإلمام بالموضوع ودراسته ويُسْعِدُنِي أن أكون في مصاف الباحثين المقبلين بكل حماس على اقتحام الصِّعاب وتذليلها حيث أن غايتي هي تقديم عمل يستفيد منه البحث العلمي في كل مكان، كما أجدد الشكر والامتنان لكل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، والله من وراء القصد.

الفصل الأول

كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب وبعد وفاته

(دراسة نماذج)

الفصل الأول

كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب وبعد وفاته (دراسة نماذج)

المبحث الأول: كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب (ق:3-4هـ/9-10م)

أولا: "طبقات العلماء" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ/869م)

ثانيا: "علماء إفريقية" لمحمد بن حارث الخشني (ت بعد 381هـ/991م)

المبحث الثاني: كتب تراجم المالكية بعد وفاة أبي العرب (ق: 5-8هـ/11-14م)

أولا: رياض النفوس لأبي بكر المالكي وترتيب المدارك للقاضي عياض

أ- "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م)

ب- "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م)

ثانيا: معالم الإيمان للدباغ والديباج المذهب لابن فرحون

أ- "معالم الإيمان" للدباغ (ت 696هـ/1296م)

ب- "الديباج المذهب" لابن فرحون (ت 799هـ/1396م)

المبحث الثالث: المعرفة التاريخية في النماذج المختارة

أولا: التاريخ السياسي والاقتصادي

ثانيا: التاريخ الاجتماعي والثقافي

ثالثا: التاريخ الإداري والعسكري

• **المبحث الأول**: كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب (ق:3-4هـ/9-10م)

بعد بحث وتنقيب، عن كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب، لم أجد أفضل من أن أتكلم على كتابين اثنين، أحدهما مفقود لكن يمكن تكوين فكرة حوله، من خلال النقول عنه فيما تلاه من كتب، والآخر وصلنا وهو مطبوع ومنشور، وهما: "طبقات العلماء" لمحمد بن سحنون و"علماء إفريقية" لمحمد بن حارث الخشني.

• **أولا**: "طبقات العلماء" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ/869م)

محمد بن سحنون[1]، أحد أشهر وجوه المالكية بإفريقية في عصره، كيف لا وهو ابن الإمام الشهير، ذي الصيت الذائع في بلاد المغرب الإسلامي حينها، وهو سحنون بن سعيد التنوخي[2]، مؤلف الكتاب الشهير عند المالكية إلى اليوم، والمعروف بالمدونة[3]، عاش محمد بن سحنون بين (202هـ - 256هـ/817م - 869م)، وترك كثيرا من المؤلفات التي تُنْبِئُ عن علو كعبه في العلم، ويهمنا منها هنا كتابه الموسوم بطبقات العلماء، وهو مفقود لم يصلنا، وقد ذكر ابن فرحون بأنه في ستة أجزاء[4]، وهناك من ذكر أنه في سبعة أجزاء[5]، حيث صرَّح المالكي في القرن 5هـ/11م بالنقل عنه[6]، وأثناء كلام الدباغ في القرن 7هـ/13م على من اعتمد

---

[1]- انظر المزيد عن ترجمته عند: الخشني محمد بن حارث بن أسد، **علماء إفريقية**، نش. السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ/1994م، ص 178-182.

[2]- سحنون بن سعيد التنوخي، ولد سنة 160هـ/776م، إمام إفريقية في وقته، مشارك في العلوم، تولى القضاء، توفي سنة 240هـ/854م، انظر: الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، 2/42-55.

[3]- انظر حوله: فاروق حمادة، **مدونة الإمام سحنون أم المصنفات الفقهية نشأة عناية تأثيرا**، دار القلم، دمشق، ط1، 1433هـ/2012م، ص 29 وما بعدها.

[4]- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1426هـ/2005م، 2/133-136.

[5]- عبد الرحمان عثمان حجازي، **المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م، ص 35.

[6]- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح. بشير البكوش، راجعه. محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م، 1/130-131، تر ر: 48، حيث أوَّل ما بدأ بذكره.

عليهم في إعداد كتابه "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، ذكر محمد بن سحنون من بينهم كأحد مصادره[1].

وكتاب طبقات العلماء يعتبر من أوائل المصنفات بإفريقية، والتي تحتوي على تراجم لعلمائها وخاصة الذين تبنوا آراء المالكية، حيث أنه في الفترة التي عاش فيها محمد بن سحنون، بدأ بناء أسس معالم كل مدرسة ومذهب لوحدها، وحتى تحافظ على وجودها بين نواقض كثيرة معظمها وافد من المشرق، كان عليها الاهتمام بتراجم أعلامها، وذكرنا آنفا أن المالكي في رياض النفوس نقل عنه حيث سماه بـ: "الطبقات" وسماه مرة أخرى بـ: "طبقات أهل إفريقية"، وذلك في ترجمة عبد الله بن الحكم البلوي، حيث قال: "ذكره ابن سحنون في طبقات أهل إفريقية"[2].

ورغم أسبقية محمد بن سحنون في الكتابة التاريخية على منهج الطبقات، إلا أن أبا العرب لم يذكره كأحد مصادره وهذا أمر غريب، وإن روى عمن روى عنه، ومرة واحدة فقط قال أبو العرب، عند كلامه عن "أبي سنان زيد بن سنان" ما يلي: "وكان أبو سنان على السنة، ذكر ذلك محمد بن سحنون"[3]، فَيُحْتَمَلُ أن تكون كلمة "ذكر" هنا تفيد نقله عن كتاب ابن سحنون، خاصة وكلام سحنون الآنف الذي أورده عنه أبو العرب يتعلق بأحد علماء إفريقية، وذلك هو موضوع كتابه في الطبقات كما يدل عليه عنوانه.

---

[1]- **معالم الإيمان**، 93/1.

[2]- **رياض النفوس**، 167/1، تر ر: 69، ويذكر القاضي عياض في كتابه: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 106/3-107، أن محمد بن سحنون ألَّف "كتاب التاريخ في ستة أجزاء"، ثم يعود وينقل قولا في معرض تعداده لأجزاء مصنفات ابن سحنون فقال: "وأربعة في التاريخ والطبقات"، كما أنه يذكر نقله عن هذا التاريخ في كتابه، حيث قال: "قال ابن سحنون في تاريخه ..."، انظر الجزء 7/2، وقد يُسْتَفَادُ من هذا أن هذا التاريخ، هو نفسه كتاب الطبقات المذكور سالفا.

[3]- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تح. علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 202، كما ذكر أبو العرب أيضا "محمد بن سحنون" في صفحات 100،158،168،197،198 من طبقاته.

- **ثانيا:** "علماء إفريقية" لمحمد بن حارث الخشني (ت بعد 381هـ/991م)

أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني القيرواني، أحد علماء إفريقية، وهو تلميذ لأبي العرب، ولد سنة 288هـ/900م، قضى شطرا من حياته بإفريقية، ثم استقر به المقام بعد ذلك بالأندلس رافعا راية العلم، وأحد أعمدة المذهب المالكي هناك، له نحو ستة عشر (16) مصنفا ذكرها من ترجم له[1]، والتي في أكثرها ذات طابع فقهي، ومنها كتابه "علماء إفريقية"، الذي يهمنا، والذي نُشِرَ لأول مرة[2] مع طبقات أبي العرب التي عليها بحثنا، تحت عنوان طبقات علماء إفريقية[3]، وهناك اختلاف حول هذا العنوان[4]، وعلى ذلك فَضَّلنا الطبعة التي بعنوان "علماء إفريقية"[5] على غيرها.

وكتاب علماء إفريقية للخشني، كما يظهر من عنوانه وبعد مطالعة محتواه، يتعلق بالتراجم، إذ يذكر فيه أخبار العلماء وأحوالهم، حياتهم ومماتهم، ويتميز أسلوب كتاب الخشني هذا، بالبساطة والبعد عن التعقيد، كما تتشابه في كثير من الأحيان التراجم التي حواها وذلك في طريقة إيراد المعلومات كما يتميز بالتَثَبُّت في طرح الأخبار عن المترجم لهم وتوثيقها

---

[1]- مثل: ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، تح. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، 103/2، والحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح. بشار عواد معروف، ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص 80-81، والقاضي عياض بن موسى، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 531/4-532، والذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح. سعد يوسف محمود وآخرون، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بلا.تا، 203/26، ومحمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، 141/1، تر ر: 256.

[2]- كان ذلك سنة 1914م من طرف محمد بن أبي شنب الجزائري، والذي سيأتي التعريف به وبنشرته، أثناء الكلام على كتاب الطبقات لأبي العرب في الفصل الأخير من هذا البحث.

[3]- انظر الطبعة التي أخرجتها دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ببيروت، وهي طبعة ثانية لنشرة ابن أبي شنب الأولى.

[4]- الخشني القروي، **قضاة قرطبة**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، مقدمة التحقيق ص 15.

[5]- معلومات نشرها كالتالي: الخشني محمد بن حارث بن أسد، **علماء إفريقية**، نش. السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ/1994م.

ويتميز أسلوبه بالاختصار المفيد والبعد عن الحشو، ولو أدى ذلك أحيانا إلى ترك كثير من الأخبار الأخرى، ولابد من الإشارة إلى أن الخشني، أخذ عن أبي العرب وذكره مِرَارًا.

وبعد ذِكرنا لهذين النموذجين، نلاحظ أن كتب تراجم المالكية المؤلفة قبل وفاة أبي العرب كانت قليلة، والتي لا يَصْدُقُ عليها في العموم أنها خاصة بعلماء المالكية ورجالاتها لأن المدرسة المالكية بإفريقية، لم تستو على سوقها إلا أواخر القرن الرابع الهجري، وبعد وفاة أبي العرب بزمن، ومع ذلك تم عَدُّ النموذجين الذين أتينا بهما لمحمد بن سحنون والخشني من كتب تراجم المالكية، لأن مُؤَلِّفَيْهِمَا من المالكية، وهما حتما سيهتمان أكثر بعلماء هذا المذهب، جنبا إلى جنب مع غيرهم من العلماء بإفريقية في وقتَيْهِما، وذلك لحفظ ما يمكن حفظه من أخبارهم، حتى يأتي مَنْ بَعْدَهُمَا ويتناول الأمر بتحديد كبير، وقد حدث هذا وهو ما سيكون الحديث عنه في المبحث الموالي.

• **المبحث الثاني**: كتب تراجم المالكية بعد وفاة أبي العرب (ق: 5-8هـ/11-14م)

على عكس ما ذكرنا في المبحث الأول، من قلة كتب تراجم المالكية التي وصلتنا قبل وفاة أبي العرب، كان الأمر في هذا المبحث يختلف عنه، وذلك لأسباب عديدة لعل من أهمها التدافع الذي حدث بين المذاهب بإفريقية، خاصة مع بروز الفاطميين كقوة سياسية وعسكرية، وأكثر من ذلك عَقَدِيَة شيعية، تحمل في طياتها استهداف غيرها من المذاهب، كل هذا جعل من المالكية قوة مذهبية مهيمنة، رغم الظروف الصعبة التي أحاطت بها، والتي سنُعَرِّج عليها في الفصل الموالي.

استمرت المالكية بعد أبي العرب بالمغرب الإسلامي كله، لكن سنتناول في هذا المبحث أربعة نماذج من كتب التراجم التي تُعْنَى بها، والتي تنتمي إلى القرون الخامس والسادس والسابع والثامن الهجرية، وهي:

• **أولا**: "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي و"ترتيب المدارك" للقاضي عياض

أ- "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م)

أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، ولد في العقد الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد، وذلك بالقيروان، حيث نشأته الأولى بها، وتعلُّمه على كثير من شيوخها[1]، وكان والد المالكي من جِلَّةِ أهل إفريقية، حيث من ترجم للمالكي الابن، لا بد وأن يسبق ذلك بترجمة أبيه[2]، أو يذكره في ثنايا الترجمة لابنه[3]، كما عاش مدة بصقلية الإسلامية ثم تركها.

اهتم المالكي بالتصنيف وأكثر ما عُرِفَ به هو كتابه "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم"، ويعتبر كتاب المالكي هذا من أهم المصادر في التأريخ لبلاده إفريقية، خاصة في عهودها الإسلامية الأولى

---

[1]- المالكي، **رياض النفوس**، مقدمة التحقيق 1/20-22.

[2]- انظر: مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، 1/161، تر ر: 318 و 319.

[3]- مثل ما هو عند الدباغ في: **معالم الإيمان**، 3/192، تر ر: 311.

وقد كان الدكتور حسين مؤنس، أول من قام بنشر الجزء الأول منه، وذلك سنة 1370هـ/1951م[1]، وطال العهد بعد ذلك ولم يظهر باقي الكتاب، إلى أن تم نشره كاملا من قِبَلِ بشير البكوش في مجلدين كبيرين[2]، وذلك سنة 1403هـ/1983م، كما أُعِيد نشر هذه الطبعة بعد ذلك.

يعتبر كتاب رياض النفوس للمالكي من أهم المصادر في دراسة تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، فهو يمثل أحد نماذج الإنتاج التاريخي في القرن الخامس الهجري، حيث الغرض منه حفظ مآثر علماء إفريقية من الضياع، مع ما يتبع ذلك من الأخبار المفيدة، كما ذكر ذلك المالكي في مقدمة الكتاب[3].

قَسَّمَ المالكي كتابه إلى طبقات كما هو عنوانه، تتشابه في أنها تخص ذكر أشخاص كُثُر وتختلف طبعا في المضمون وكذا الطول والقِصر، سواء في حجم معلومات كل ترجمة، أو في عدد العلماء المذكورين في كل طبقة، وقد اعتمد المالكي كثيرا على طبقات أبي العرب وكانت من مصادره الأساسية.

ب– "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م)

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المغربي القاضي، عاش بين (476هـ - 544هـ/1083م - 1149م)، أحد علماء الإسلام الكبار ومفخرة المغرب الإسلامي إلى يوم الناس هذا، والنظر في "كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض"[4]، يُغْني عن مطالعة

---

[1]– طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

[2]– طبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت.

[3]– انظر مقدمة المؤلف: الجزء الأول ص 4.

[4]– مؤلف هذا الكتاب هو: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ/1631م والطبعة التي نقلنا منها ما كتبناه حول عياض، هي بِضَبْط وتحقيق وتعليق كل من: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، طبعة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة 1358هـ/1938م، خاصة المجلد الأول، إذ هو مهم أكثر.

أَيٍّ من الكتب التي تشتمل على ترجمته، حيث وضعه صاحبه خِصِّيصًا لترجمة موسعة للقاضي عياض وتَتَبُّعِ كل أخباره، لذا نكتفي في التعريف به إلى الإحالة عليه.

للقاضي عياض مؤلفات عديدة، والكلام المفصَّل عنها ليس هنا محله، ومن غير المختلف فيه أن أشهر كتب القاضي عياض والذي لم يُعْرَف إلا به هو كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، الذي طغت شهرته على القرن السادس الهجري، وبذلك فهو يدخل في إطار بحثنا هذا، وبلغ ترتيب المدارك وصاحبه، من الأهمية حتى قيل: "لولا عياض لما ذُكِر المغرب"[1].

قبل أن يبدأ الاهتمام بنشر كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، كان قد نُشِرَ قبله الكثير من كتب تراجم وطبقات المالكية، ورغم أنه لا يُقَارَنُ بغيره، إلا أنه وقع بعض التأخر في إخراجه إلى عالم المطبوعات، وقد تَوَجَّهَتْ همة الدكتور أحمد بكير محمود، إلى نشره كاملا ببيروت[2]، وكذلك تم نشره على فترات بالمغرب في ثمانية مجلدات[3] وسنتكلم هنا على طبعة بيروت لأنها هي التي توفرت بين أيدينا.

دائما يكون السبب الأكبر في بروز أي موقف، هو الدفاع عن فكرة يعتقد بصحتها صَاحِبُ ذلك الموقف، وهنا ومن خلال مقدمة عياض لكتابه، وكذلك ما كتبه المحقق أحمد بكير محمود في مقدمة تحقيقه للكتاب، أرى أنَّ هذا الكتاب لم يظهر إلا لترجيح مذهب مالك على غيره وبيان قوة أدلته، وطبعا حسب ما يرى عياض، كما أن التقلُّبات العديدة التي شهدها المغرب زمن حياة عياض به كان له دور في هذا الظهور.

---

[1]- هذه القوْلة لا تُنْسب لأي شخص ولا يُعرف قائلها، والظاهر أنها عبارة مدح للكتاب وتكبير به في أعين الآخرين ذكرها أحمد بكير محمود في بداية عمله في تحقيق الكتاب.

[2]- دار مكتبة الحياة، 1388هـ/1967م.

[3]- طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م.

قَسَّم عياض كتابه إلى طبقات، بحسب الزمن الذي عاش فيه أولئك الأعلام، وكذا البلدان التي عاشوا بها، فنجد في الكتاب أعلام مذهب مالك من المغرب وإفريقية والمدينة المنوَّرة والأندلس والعراق، حيث أن ذكره لغير المغاربة يجعل من كتابه يخرج من إقليم بلاد المغرب، لكن كان تأليف الكتاب في معرض الاستشهاد بسعة رقعة انتشار مذهب مالك فلزِم حينها التوسُّع، مع التركيز على فكرة أنه للمغاربة أكثر من غيرهم، بحكم نشأة صاحبه المغربية، والبيئة التي تشجِّعه على ذلك، فجاءت التراجم مغربية ومشرقية، وقد اعتمد عياض على أبي العرب، وذكره عدة مرات.

- **ثانيا**: "معالم الإيمان" للدباغ و"الديباج المذهب" لابن فرحون

أ– "معالم الإيمان" للدباغ (ت 696هـ/1296م)

نأتي الآن إلى نموذج من الكتب التي تحتوي على تراجم المالكية، ينتمي زمنيا إلى القرن السابع الهجري، ذلكم هو كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، وصاحبه هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الدباغ الأنصاري القيرواني، عاش بمدينة القيروان بإفريقية بين (605هـ - 696هـ/1208م - 1296م)، تعلَّم على يد كثير من شيوخها حتى صار من أهل العلم والفضل الذين عُرِفَ قدرهم[1]، له مصنفات عدة في فنون مختلفة وأكثرها في المناقب، من خلال الاهتمام بأخبار الصُلحاء والزهاد والعباد والمرابطين، الذين عاشوا بإفريقية أو وردوا إليها وكذا تراجم المالكية بالخصوص، والتي ينضوي تحتها كتابه "معالم الإيمان" موضوع حديثنا هنا.

[1]– المزيد عنه في مصادر ترجمته ومنها: العبدري أبو عبد الله محمد، **رحلة العبدري**، تح. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1419هـ/1999م، ص 163-176، والوادي آشي محمد بن جابر، **برنامج الوادي آشي**، تح. محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م، ص 60-61، والتنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2004م، 1/261-262، وأيضا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح. أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ص 174.

بالنسبة لطبعات كتاب معالم الإيمان قال محقق الطبعة التي بين أيدينا[1]، إنه "طُبِع أول مرة سنوات 1320هـ - 1325هـ/1902م - 1907م، ومرة ثانية سنة 1388هـ/1968م وأخرى سنة 1413هـ/1993م محققة جيدا، وأشار إلى سبب إعادة نشره للكتاب"[2].

كتاب معالم الإيمان للدباغ من خلال عنوانه، ومن خلال الاطلاع على محتواه، يهتم بمدينة القيروان ومن دخلها من الأعلام، من لدن الفتح الإسلامي حتى عصره، وبما أن بلاد المغرب الإسلامي ككل وإفريقية ومدنها وخاصة القيروان كان غلب عليها مذهب المالكية فمن دون شك أن كتاب المعالم يحوي كما معتبرا ومُهِمًّا من تراجم أعلام هذا المذهب، من مختلف الطبقات، كما يحتوي على كثير من الإفادات الأخرى سنتطرق لها في المبحث الموالي وقد اعتمد الدباغ أيضا كتاب الطبقات لأبي العرب كأحد مصادره.

ب– "الديباج المذهب" لابن فرحون (ت 799هـ/1396م)

في آخر هذا المبحث، سنُعَرِّف بأحد أهم كتب تراجم المالكية ببلاد المغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري، وهو كتاب "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" المشتهِر مؤلِّفه بـ: ابن فرحون المالكي، وهو برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري المدني المالكي، ولد بعد سنة 730هـ بقليل، وتوفي سنة 799هـ/1396م، له مؤلفات في المناسك والأحكام والأدب، وكذا التراجم التي منها كتابه: "الديباج المذهب"، والمطالِع لكتب مُتَرْجِمِي سيرته[3] يجد حوله أخبارا أخرى.

---

[1]– وهو الدكتور عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

[2]– مقدمة التحقيق 1/10–11 بتصرُّف يسير.

[3]– ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، 1414هـ/1993م، 1/48، تر ر: 124، وشمس الدين السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، 1/81–82، تر ر: 91، والقرافي بدر الدين محمد بن يحيى، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م، ص 23–24، تر ر: 1، ومخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، 1/319–320، تر ر: 820.

وفيما يخص ظهور كتاب الديباج إلى عالم المطبوعات، فقد أفاد محقق الطبعة التي بين أيدينا[1]، أنه طبع لأول مرة بمصر، وله مآخذ على تلك الطبعة، من ناحية كثرة الأخطاء والتصحيفات ولم يذكر تاريخها، وعلى كل حال فالطبعة التي بين أيدينا تكفي لمعرفة الكتاب ودراسته.

من خلال بداية المقدمة التي وضعها ابن فرحون لكتابه الديباج، حدَّد الغرض من تأليفه للكتاب وجمعِه، وهو "خدمة مذهب مالك من خلال حفظ أخبار أعلامه، وتوجيه أنظار المسلمين إليه لأنه المذهب الراجح عنده"[2]، هذا فيما يخص رأي صاحبه، أما الإطار الذي يمكن لنا أن نضع فيه كتاب الديباج، فهو أولا يمثِّل أحد أوعية المعرفة التاريخية العربية الإسلامية على الأقل في عصره، وثانيا يتقارب ويتشابه مع ما ذكرنا من نماذج سابقة، وهكذا تتوالى الاستفادات منه على هذا الأساس.

بما سبق كنا قد أتينا على ذكر نماذج مُنْتَقَاة من كتب تتعلق بتراجم المالكية، وذلك قبل وفاة أبي العرب وبعدها، والنماذج كثيرة خاصة في فترة ما بعد أبي العرب، وفي الواقع تحتاج كتب تراجم المالكية لدراسة إحصائية مستقلة، تكشف عن مفقودها ومخطوطها ومطبوعها مع التوسُّع في الوصف والخصائص، وهذا عمل ربما أقوم به خلال مستقبلي الدراسي والعلمي إن شاء الله تعالى، ولكن سأنهي هذا الفصل بمبحثه الثالث والأخير بعرض قد يكون مختصرا عن المعرفة التاريخية في النماذج المختارة، فالتاريخ حاضر بقوة ولا شك في كتب التراجم، لأن الترجمة أصلا هي فن من فنون التاريخ ومنهج من مناهجه، ولكن المقصود هو هل نجد التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري والعسكري في تلك الكتب؟ هذا ما سنراه في المبحث الموالي.

---

[1]- تحقيق وتعليق. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1426هـ/2005م، في جزأين.

[2]- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، 21/1.

• **المبحث الثالث**: المعرفة التاريخية في النماذج المختارة

النماذج التي تكلمت عنها من كتب تراجم المالكية، عاصر مؤلفوها الأوضاع المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والعسكرية السائدة في البلاد التي عاشوا فيها، ويختلفون في التأثير والتأثُّر بتلك الأوضاع، ويمتد ذلك إلى مؤلفاتهم، التي منها كتب التراجم إذ تحوي الكثير من الأخبار التي لا تُكْتَبُ في غيرها[1]، حيث تتشكَّل من تلك الأخبار المعرفة التاريخية غير التقليدية، وهذا هو المقصود من المعرفة التاريخية، في كتبالتراجم المغربية.

أحاول في هذا المبحث، أن أُبَيِّنَ بعض المعرفة التاريخية التي أنتجتها كتب تراجم المالكية وذلك من خلال النماذج التي مررت بها سالفا، حيث نعرف منها التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري والعسكري، ورغم صعوبة هذه الخطوة خاصة من مثل هذه المؤلفات، والتي لكل منها سياقه الزمني وواقعه الخاص به والمختلف عن الآخر كل الاختلاف، إلا أن التقارب في الموضوع الذي هو التراجم يهوِّن من كل ذلك، وسيكون ذلك كالآتي مع عدم التفصيل، لأن ذلك له مكان آخر غير هذا.

• **أولا**: التاريخ السياسي والاقتصادي

بالنسبة لكتاب طبقات العلماء لمحمد بن سحنون، فمن خلال تَصَوُّرِ محتواه بالنظر إلى عنوانه، وبالنظر كذلك إلى من كتبوا مثله كأبي العرب، حيث يكونون أخذوا عنه المنهج والمعلومات، فهو يُطْلِعُنَا على كثير من الجوانب المتعلقة بعصر بداية دخول الإسلام لبلاد المغرب، وكيف كانت إفريقية منطلقا لانتشاره في ربوعه، وبعدها يروي سير الذين تولوا على بلاد المغرب موطنه ربما بدءا من عصر الولاة إلى جزء كبير من عهد الأغالبة.

---

[1]– عمر بن حمادي، **كتب التراجم والنخب العلمية الوجه والقفا**، مقال ضمن كتاب: **النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات**، الأطلسية للنشر، تونس، 2014م، ص 15-17.

لا يختلف كتاب علماء إفريقية للخشني، عن كتاب محمد بن سحنون من حيث المضمون، لكن يزيد عليه ببعض التفصيلات بحكم أنه جاء بعده، وعند تدقيق الملاحظة ومن الناحية المنهجية بالنسبة للباحث، يعتبر مُكَمِّلاً لما ذكر ابن سحنون أو لِمَا لم يذكرْه ونستشف من كتاب علماء إفريقية للخشني ما يخص بداية عصر سلطة الفاطميين بإفريقية وبلاد المغرب والموقف منهم، والاضطرابات التي رافقت مجيئهم، كما يُستفاد منه بعض التواريخ المتعلقة بغير إفريقية، كمناطق كانت امتدادا ومجالا حيويا لها في وقت من الأوقات مثل صقلية.

أما بخصوص التاريخ الاقتصادي، الذي يمكن أن نستفيده من كل من كتابي ابن سحنون والخشني، فيتمثل في ما أحدثته السلطات التي عَاصَرَاهَا، من نظم اقتصادية مختلفة تسوس بها المجتمع، مثل إنشاء الأسواق وفرض الضرائب وسك العملة، وغير ذلك مما يتعلق بالجانب الاقتصادي، حيث نجد لها الكثير من الإشارات خلال قراءتنا لكثير من التراجم التي ذكرها الخشني.

وأيضا نجد كتاب "الأجوبة"[1] لابن سحنون نفسه يتعرَّض لكثير من المسائل الفقهية التي تبدو أنها مسائل لا علاقة لها بغير الدين، فإذا هي على علاقة بالشأن الاقتصادي بإفريقية في زمنه، حيث يبحث الناس عن الوجه الشرعي لها، وهي في فصول عديدة من الكتاب، فكتب التراجم ككتب النوازل، تحوي كما معتبرا من التاريخ ما أحوجنا إليه.

وبخصوص باقي النماذج وهي رياض النفوس للمالكي وترتيب المدارك لعياض ومعالم الإيمان للدباغ والديباج المذهب لابن فرحون، يفيدنا كل واحد منها في تصوير الحياة السياسية والاقتصادية في وقته، خاصة بالنسبة لكتاب الترتيب للقاضي عياض.

[1]– محمد بن سحنون، **كتاب الأجوبة**، دار سحنون، تونس ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م، انظر منه فصل البيوع كمثال، ص 154-179.

فرياض النفوس ومعالم الإيمان، يهتمان بإفريقية وكذا بعض أخبار باقي بلاد المغرب فالأول يؤرِّخ بشكل غير مباشر للتاريخ السياسي والاقتصادي من الفتح إلى عهد الدولة الزيرية[1]، والثاني يضيف عن السابق بعض تاريخ حكم الدولة الموحدية[2] لإفريقية ثم حكم الدولة الحفصية[3].

أما بالنسبة لترتيب المدارك للقاضي عياض والديباج المذهب، فالملاحظ عليهما التشابه في طريقة تناولهما للتراجم التي احتويا عليها، وذلك من ناحية الاهتمام بتسجيل معلومات أعلام مذهب مالك أينما كانوا، من وقت ظهور المذهب إلى عصر كل منهما، وينتج عن ذلك الإشارة إلى عصور مختلفة من الناحية السياسية والاقتصادية، تخص حواضر إسلامية عديدة هنا وهناك، خاصة تلك التي علا فيها نجم مذهب مالك، والإشارة إلى تلك العصور فيها الكثير من المعرفة التاريخية حول هذا الجانب.

---

[1]- إحدى الدول التي قامت ببلاد المغرب على يد بلكين بن زيري، حكمت هذه الدولة بلاد المغرب بدءا من سنة 362هـ/973م، إلى سنة 543هـ/1148م، لتصبح إحدى الدول القوية في المنطقة وعاصمتها آشير، انظر حولها: ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ/2006م، 6/180-202، والهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، 1/39 وما بعدها.

[2]- إحدى أشهر دول المغرب الإسلامي، تأسست على يد محمد بن تومرت سنة 515هـ/1121م، ووحَّدَت بلاد المغرب والأندلس تحت سلطتها، سقطت سنة 668هـ/1269م، انظر حولها: الصنهاجي أبو بكر بن علي البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، تح. عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص 34 وما بعدها، وعبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، تح. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م، ص 65 وما بعدها.

[3]- إحدى الدول الإسلامية التي انفصلت عن الموحدين، حيث كانت تحكم باسمهم المغرب الأدنى، وكان انفصالها على يد الأمير أبو زكريا بن أبي محمد بن حفص الذي نُسِبَت إليه، وذلك سنة 627هـ/1228م، ودامت حتى سنة 982هـ/1574م، تاريخ سقوطها على يد العثمانيين، انظر حولها: القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن ابن القنفذ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 97 وما بعدها، ومحمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 83 وما بعدها.

- **ثانيا**: التاريخ الاجتماعي والثقافي

لا نبالغ إن قلنا أنَّ أكثر ما يمكن لنا أن نستفيده من كتب التراجم بصفة عامة، هو تلك الإشارات التي بداخلها حول أفراد المجتمع أو الرعية حسب المصطلح المتداول بين أصحاب تلك الكتب، وتلك الإشارة تتمثل في الكلام عن أصل الأشخاص ومكانتهم ونسبهم وحسبهم وديانتهم ومذهبهم، ولا شك أن كل ذلك يمثل مادة معرفية تاريخية خصبة لدراسة هذا المجتمع أو ذاك، حيث وكما أسلفت تغيب كثير من التفاصيل في كتب التاريخ التقليدية.

بشكل محدد فالنماذج التي سبق الكلام عنها، وهي كتب لتراجم المالكية بالمغرب الإسلامي، تفيدنا في دراسة الجانب الاجتماعي بهذه البلاد في زمنها التي هي شاهدة عليه فهي تبيِّن أوضاع وحالة رجال الحكم وتمتُّعهم بكل ما هو ترف وبذخ إلا حالات استثنائية نادرة، كما تعطينا أخبارا عن الأعراق التي كانت في بلاد المغرب أو وفدت إليها وأيضا الطبقات الدنيا من المجتمع من العامة، وأهل العلم الذين خالطوا السلطة، أو الذين لم يخالطوها، والتفصيل في ضرب الأمثلة عن ذلك ليس هذا محله.

وفيما يخص فائدة كتب تراجم المالكية هذه، لتكوين مادة معرفية تاريخية عن الجانب الثقافي لكثير من العصور التي شهدها مؤلِّفوها، فالقول هنا إن ما تحويه هذه الكتب، هو بالدرجة الأولى كلام عن العلم والعلماء، كما هو عن المذاهب العقدية الدينية التي حلَّت بالساحة المغربية الإسلامية، وأيضا تشهد هذه الكتب، على درجة حرية الرأي والتفكير أو نقيضهما الاستبداد والعنف في مجتمع مؤلِّفيها، كما أنها بالدرجة الأولى والأخيرة، صورة نمطية عن تاريخ مذهب المالكية ببلاد المغرب يُحْكَمُ له أو عليه من خلالها.

- **ثالثا**: التاريخ الإداري والعسكري

سبق وأن تكلمت عن المعرفة التاريخية، التي يمكن أن نستفيدها من النماذج المطروحة من كتب تراجم المالكية، وذلك في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وهنا جاء دور الجانب الإداري والعسكري، وفي الواقع يعتبر هذا الجانب تابعا للجانب السياسي أو العكس، بحكم أن أحدهما يتصرَّف في الآخر، وهذا سابقا أو حتى الآن فالعساكر كثيرا ما كانت سببا في قيام الدول وسقوطها.

وكثيرا ما يرتبط مُصْطَلَحَا "الإداري" و"العسكري" بما يسمى النُّظُمُ، لذا فالنماذج التي أتينا عليها من كتب تراجم المالكية، تحوي تفصيلات عن هذا الجانب، مثلا نجد ضمن هذه الترجمة أو تلك في هذه الكتب صدور أمر بتعيين الحاكم أو الوالي أو القاضي أو المحتسب الفلاني أو العِلاَّني في المدينة أو الإقليم، حيث يُنْظَرُ فيها ويتم بعد ذلك تطبيقها مع ما تتطلَّبه هاتيك القضية من مرور على إدارات تلك السلطة القائمة بالأمر.

فهنا ومن خلال هذه الكتب، كثيرا ما تُذكر عدة وظائف إدارية، مثل صاحب المظالم وصاحب البريد وناظر الجيش، وغيرها مما يتم ظهوره من الوظائف الجديدة، في كل ظهور لسلطة سياسية جديدة، عاش ضمن رعيتها أصحاب تلك النماذج، والملاحظ في هذا الجانب التداخل الكبير بين الإداري والعسكري، خاصة إذا تطلَّبت الظروف ذلك.

لاحظت في النماذج السابق ذكرها من كتب تراجم المالكية، كَمًّا معتبرا من المعرفة التاريخية، توزَّعت بين الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والعسكرية، وَصَنَّفْتُ هذا النوع من الكتب إلى قسمين: قسم هو ما يسبق أبا العرب والآخر هو الذي كان بعد وفاته، وبالطبع كان هذا الأخير أكثر مؤلفات وأكثف معرفة تاريخية.

الفصل الثاني

أوضاع إفريقية العامة بلد أبي العرب

الفصل الثاني

أوضاع إفريقية العامة بلد أبي العرب

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الثالث: الحياة الدينية والفكرية

• **المبحث الأول**: الأوضاع السياسية

عاش أبو العرب بـ: إفريقية[1] بين (250هـ - 333هـ/864م - 944م)، وهذا يعني أنه عاصر جزءا من عهد الدولة الأغلبية[2]، وجزءا من حكم الدولة العبيدية الفاطمية[3] وبالنسبة للعهود التي عاصرها من حكم الأمراء الأغالبة، هي الآتية:

"عصر الأمير محمد الثاني (250هـ - 261هـ/864م - 875م)، وعصر إبراهيم الثاني (261هـ - 289هـ/875م - 902م)، وعبد الله الثاني (289هـ - 290هـ/902م - 903م) وزيادة الله الثالث (290هـ - 296هـ/903م - 909م)"[4].

وبخصوص الحكام العبيديين الفاطميين فقد عاصر منهم الأول والثاني بَدْءًا من: "أبي محمد عبد الله المهدي (297هـ -322هـ/909م -934م)، والقائم أبو القاسم محمد (322هـ -

---

[1]- لفظة "**إفريقية**" تطلق على جزء من بلاد المغرب في العصور الوسطى، وهي منطقة جغرافية تعني كل ما يلي مصر غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي، وتمثل اليوم تقريبا كل القطر التونسي، وللدكتور حسين مؤنس تفصيل مفيد يغني عن غيره حول ما تعنيه لفظة "إفريقية" وذلك في كتابه **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا.تا، ص 2.

[2]- الدولة التي مثَّلت الخلافة العباسية ببلاد المغرب الإسلامي، وقد كانت تابعة لها اسميا وروحيا، أسَّسَها إبراهيم بن الأغلب التميمي سنة 184هـ/800م، وقد سقطت على يد داعية الفاطميين، أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ/909م، للتفصيل حولها انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، 1/92-149، ومحمد الطالبي، **الدولة الأغلبية 184-296هـ/800-909م، التاريخ السياسي**، تر. المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

[3]- إحدى الدول التي قامت ببلاد المغرب سنة 296هـ/909م على أنقاض دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار وكانت عاصمتها "إيكجان"، واستمرت موجودة بأرض المغرب إلى سنة 362هـ/972م، تاريخ انتقالها إلى مصر، حتى سقوطها هناك سنة 567هـ/1171م، انظر حولها: المقريزي أحمد بن علي، **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح. محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، وحسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.

[4]- استانلي لين بول، **تاريخ الخلفاء والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري**، تر. عباس إقبال ومكي طاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ص 48.

334هـ/934م - 945م)[1]، وبعد ذلك كانت وفاة أبي العرب سنة 333هـ/944م كما سيأتي بيانه.

ومن الثابت أن الحالة السياسية، لا تكون واحدة في أي بلد يتعاقب عليه عدد من الحكام وذلك لاختلاف الظروف المحيطة، وهذا ما كان في حالة دولة الأغالبة، فَبَدْءًا بعصر محمد الثاني والذي كان أول أمير أغلبي يعاصره أبو العرب، شهدت إفريقية خلال حكمه هدوءا، نظرا لما كانت تتوفر عليه من إمكانيات مختلفة، وذكر ابن عذاري المراكشي عهد الأمير محمد الثاني وولايته لإفريقية فقال أنَّ "ولايته كانت حروبا أكثرها على ما يأتي ذكره"[2]، وهذه الحروب يقصد بها بعد قوله "على ما يأتي ذكره"، حروب فتح مدن صقلية[3] التي أخضعها الأغالبة لحكمهم، كما أن هناك توترا من طرف البربر بمنطقة الزاب[4]، سرعان ما تم إخماده، وبقيت إفريقية في عهده على أكثر أحوالها بعيدة عن كل ما يُعَكِّر صفو الحياة بها.

ينقضي عصر محمد الثاني، ويعتلي سدة الحكم الأمير إبراهيم الثاني، الذي سبق له وأن كان واليا على القيروان في عهد سلفه، وخلال عصره استمر إرسال الجيوش لاستكمال فتح صقلية، كما كان هناك تغيير شبه دائم في المناصب العليا في دولته، نظرا لما تطلبته السياسة

---

[1]- المرجع السابق، ص 81.

[2]- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، 114/1.

[3]- **صقلية**: أحد جزر البحر الأبيض المتوسط مقابلة لإفريقية، وهي تابعة لإيطاليا اليوم، قامت بها حضارة إسلامية مدة من الزمن ثم عفيت آثارها، فتحها القاضي أسد بن الفرات، أيام بني الأغلب سنة 212هـ/827م، انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، تح. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 473/3-476، وأحمد عزيز، **تاريخ صقلية الإسلامية**، تر. أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980م، ص 8، وخالد الصقلي، **الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني** (462 - 592هـ/1070 - 1194م)، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 1433هـ/2012م، ص 19-27.

[4]- **الزاب**: اقليم كبير بأرض المغرب، كثير المياه والبساتين، وأهله أخلاط، وبه صنائع وتجارات، انظر: الإدريسي أبو عبد الله محمد، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، 263/1، وياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 138/3-139، وللاستزادة انظر: فوزي مصمودي، **الزاب المصطلح والدلالات**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013م. **قلت**: وأرض الزاب قديما تمثِّل اليوم جزءا من ولايتي باتنة والمسيلة وجل تراب ولاية بسكرة من الجمهورية الجزائرية.

الحازمة التي سار عليها لمدة سبع سنوات من حكمه[1]، وخلال عهده حاول العباس بن أحمد بن طولون[2]، أن يغزو إفريقية ليصبح حاكما عليها مكان الأغالبة، ونظرا للقوة التي تمتَّعت بها الدولة حينها، انهزم الغازي وعادت الأوضاع إلى حالها.

وهذا الأمير كان اعتراه مرض غريب، جعله محبا لسفك الدماء، حيث لم يسْلم من ذلك حتى أقرب الناس إليه، واستمر ذلك مدة ثم عاد إلى رشده وندم، لكنه غادر إلى الجهاد بصقلية، حيث توفي ودُفِن هناك سنة 289هـ/902م.

وقد أدرك أبو العرب جنون الأمير إبراهيم الثاني، وربما كان في العشرينات من عمره إلا أنني لم أجد إشارة إلى تَأَثُّرِهِ بهذا الجنون.

بعد إبراهيم الثاني يأتي ابنه عبد الله الثاني، الذي لم يطل عهده حيث مدته سنة واحدة ويعتبر عهده بداية نهاية الدولة الأغلبية، نظرا للأوضاع السيئة التي خلَّفها عهد سابقه، كما أنَّ الدعوة الشيعية، والتي ترمي إلى قيام دولة أساسها المذهب الشيعي الإسماعيلي[3]، قد

---

[1]- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 132/1.

[2]- **أحمد بن طولون**: والي مصر من طرف الخليفة العباسي المعتز بالله سنة 254هـ/868م، وما لبث حين استقام له الأمر، أن استقل بمصر مكوِّنا دولة لوحده، عُرِفَت في التاريخ بالدولة الطولونية، والتي استمر حكم ذريته بها حتى سنة 292هـ/904م، انظر: الكندي محمد بن يوسف، **ولاة مصر**، تح. حسين نصار، دار صادر، بيروت بلا.تا، ص 239-278، ومؤلف مجهول، **تاريخ مصر وفضائلها**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م، ص 69-70، وابن ظافر الأزدي **أخبار الدول المنقطعة**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م، ص65-74.

[3]- **المذهب الإسماعيلي**: أحد فرق الشيعة، وسُمِّيَ بالإسماعيلي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويسمى أتباعه كذلك "الخطَّابية"، كان له حضور في بلاد المغرب زمن الفاطميين، ما زال موجودا في غيرها إلى اليوم وينتشر في الهند خصوصا، انظر حوله: السجستاني أبو يعقوب، **كتاب الافتخار**، تح. مصطفى غالب، دار الأندلس، د.م.ن، ط1، 1981م، والفخري علي بن محمد بن عبد الله، **تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان**، تح. رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، ط1، 1415هـ/1994م، ص 144-176، وبرنارد لويس، **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، دار الحداثة، بيروت، ط3، 1993م، ص 69-84، وسامي العيَّاش، **الاسماعيليون في المرحلة القرمطية**، دار ابن خلدون، بيروت، بلا.تا، ص 57-65، ومن بين أهم المراجع الفرنسية التي تناولته نجد:
Henri laoust, **les schismes dans l'islam**, s.n.e.d, Alger, s.d, p 140-146.

بدأت بالظهور وشُرِعَ في تطبيق ترتيباتها، وقد انتهى عهد هذا الأمير بالقتل على يد غلمانه.

يأتي بعد ذلك عصر آخر أمير أغلبي، وهو زيادة الله الثالث[1]، الذي تميَّز الوضع السياسي في عهده، بالصراع مع الداعي الفاطمي أبي عبد الله الشيعي[2]، حيث كانت الدعوة الشيعية الإسماعيلية قد استفحلت وتعذَّر إيقافها، وقد خاض زيادة الله مع هذا الداعي معارك عديدة، انتهت آخرها سنة 296هـ/909م، بسقوط دولة الأغالبة نهائيا وهروب أميرها زيادة الله إلى المشرق.

نأتي الآن لذكر الحالة السياسية لإفريقية، على عهد الأول والثاني من الحكام الفاطميين الذين عاصرهما أبو العرب، حيث الطابع العام لها أنها شهدت تشابها إلى حد كبير، وكذلك من الطبيعي أن تشهد الساحة السياسية الإفريقية، تغيُّرا تبعا لتغيُّر السلطة الحاكمة، ويزيد التغيُّر أو التأزُّم أكثر، إن تَبِعَ ذلك الانتقال فرض معتقد معيَّن محل معتقد آخر سائد.

وقد حاول الفاطميون طوال فترة حكمهم لإفريقية، ترسيخ مبادئ مذهبهم في نفوس أهلها ونجحوا في ذلك نسبيا، وذلك لأن المذهب الشيعي الإسماعيلي لديهم، هو أساس

---

[1]– آخر أمير أغلبي حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من دولته، إلا أن معارك شرسة وذات تخطيط محكم، خاضها معه أبو عبد الله الشيعي، أبت إلا أن ترسم النهاية الأبدية لدولته، انظر: عماد الدين إدريس، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب– القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار–** ، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، ص 110–136، وحول تفاصيل أكثر عن الأوضاع السياسية بإفريقية، على عهد الأغالبة في فترة دراستنا هذه انظر: محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص283 وما بعدها، والسيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2008م، ص 312–320.

[2]– **أبو عبد الله الشيعي**: حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني، ناشر الدعوة الشيعية الإسماعيلية بأرض المغرب حيث اختاره لذلك رستم بن حوشب رأس الدعوة الإسماعيلية باليمن نظرا لتميُّزه بصفات قيادية، وقد مهَّد الطريق للدعوة الإسماعيلية شيئا فشيئا، حتى نجح في إقامة دولة شيعية الهوى عُرِفَت بالدولة العبيدية وأيضا بالفاطمية وذلك سنة 296هـ/909م، مات مقتولا من طرف أول حكَّام الفاطميين وهو أبو محمد عبد الله المهدي، سنة 297هـ/910م انظر: القاضي النعمان، **إفتتاح الدعوة**، تح. فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، و ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 30 وما بعدها، وعماد الدين إدريس، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، ص 59 وما بعدها، وابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 1/124–129.

كل شيء، ويمثل في نظرهم الإيديولوجية الرسمية، والتي يجب أن تسود البلاد والعباد واستهدفوا أساسا معتقدات مخالفيهم من المذاهب الأخرى، ولم يتورعوا من قتل معارضيهم بالجملة، الذين لم يقتصروا على المعارضات الجدلية والانتقادات فحسب، بل أشهروا ضد خصومهم حربا ضروسا كاد يكون لهم كسبها لولا قضاء الله الذي قدر أن تكون عليهم[1] وقد كان الصدام المباشر للفاطميين مع السكان بعامة والعلماء بخاصة.

ونتيجة للتشابك بين السلطة الفاطمية وأهل إفريقية، الذين كانوا يعتنقون مذاهب مختلفة، كان أقواها على الساحة المذهب الإباضي[2] والمالكي[3] والحنفي[4]، توسعت الهوة بينهما وبلغ الاحتقان درجة يصعب معها التفاهم، وقد ظهر أثر ذلك في الانتفاضات التي تحدث هنا وهناك، وأهمها الثورة العارمة التي قادها أحد أتباع الإباضية النُكَّار[5]، وهو أبو

---

[1]– عبد العزيز المجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار سحنون، تونس ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص 187.

[2]– أحد المذاهب الإسلامية المشهورة وأقدمها، أسَّسه جابر بن زيد العماني وعبد الله بن إباض التميمي، وينتشر في أكثر من بلد، انظر حوله: الباروني أبو الربيع سليمان، **مختصر تاريخ الإباضية**، بلا.تا، د.م.ن، ص 17–31، وعمرو خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، تر. ميخائيل خوري، مراجعة. ماهر جرار، دقَّق وراجع أصوله وعلَّق عليه. محمد صالح ناصر ومصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م.

[3]– أحد أكبر المذاهب الإسلامية المشهورة، يُنسب إلى مالك بن أنس الأصبحي (93هـ – 179هـ/711م – 795م)، ينتشر اليوم في معظم بلدان القارة الإفريقية وعلى الأخص بالجزائر والمغرب الأقصى وتونس وليبيا وموريتانيا، انظر حوله: القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 1/80–81، وعبد الودود محمد السريتي، **تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م، ص 163–166.

[4]– يُنسب هذا المذهب لأبي حنيفة النعمان التابعي المشهور (80هـ – 150هـ/699م – 767م)، مناطق انتشاره اليوم الهند وتركيا، انظر حوله: الهيتمي شهاب الدين أحمد بن حجر، **الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، دار الأرقم، بيروت، بلا.تا، ص 62–63، وعلي جمعة محمد، **المدخل لدراسة المذاهب الفقهية**، دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ/2007م، ص 73–136.

[5]–**النُكَّار**: أحد فرق الإباضية، وسُمُّوا بذلك لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب إمام الدولة الرستمية، ويُعْرَفُونَ أيضا بـ: الشغبية، اَلْمُلْحِدَة، النُكَّاث، وهذه الفرقة منقرضة اليوم، انظر حولهم: أبو زكريا يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1984م، ص 88–100، وعمرو خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص 201–208، ومجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1429هـ/2008م، 2/1027–1028.

يزيد اليفرني[1]، والتي بدأت سنة 322هـ/933م، وانتهت سنة 336هـ/947م، وكادت أن تقضي على دولة الفاطميين، وتعتبر ثورة أبي يزيد أكبر خطر واجهه حكم الفاطميين بإفريقية وأتعبتهم كثيرا، فقد "شغلت عصر القائم بالله كله، وعامين من عهد ابنه أبي العباس إسماعيل المنصور أي أنها استغرقت نحو 14 سنة"[2]، لكن فشلها لأسباب كثيرة ليس هذا مكان بسطها[3]، جعل كفة البقاء تميل إلى الفاطميين، وقد شارك في تلك الثورة، كثير من أهل إفريقية من غير الإباضيين، وكان أبو العرب واحدا منهم.

---

[1]- **أبو يزيد اليفرني**: مخلد بن كيداد الزناتي المعروف بصاحب الحمار، أكبر ثائر عرفته بلاد المغرب الإسلامي، حيث هَدَّدَ الدولة الفاطمية بها بالزوال وقُتل في آخر معركة معها، انظر حوله: القاضي النعمان، **إفتتاح الدعوة**، ص 332-334، والصنهاجي أبو عبد الله محمد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح. جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 29-37، وسليمان بن داود بن يوسف، **دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس**، مقال ضمن كتاب: **محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1393هـ/1973م، ص 76-77، وقد أُخْتُلِفَ في سنة خروجه فقال الصنهاجي في: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ص 29، أنه سنة 332هـ/943م، وأخذ عنه ابن عذاري في **البيان المغرب**، 216/1، وقال ابن الأثير أنه سنة 333هـ/944م، وذلك في كتابه: **الكامل في التاريخ**، تح. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1431هـ/2010م، 136/7، وذكر مثله المقريزي في: **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، 156/1، وذكر عبد الرحمان ابن خلدون أنه سنة 316هـ/928م، وذلك في: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، 316/4، أما الداعي عماد الدين إدريس فقد جعلها سنة 323هـ/934م، في كتابه: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، ص 264، أما الدكتور السيد عبد العزيز سالم في: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ص 535، فجعل ذلك سنة 322هـ/933م.

[2]- المرجع السابق نفسه، ص 536. **قلت**: وتاريخ بداية ثورة أبي يزيد ونهايتها، والذي أثبتناه في أعلى الصفحة أخذناه من السيد عبد العزيز سالم في كتابه المذكور آنفا، وذلك لأنه تقريبا الوحيد الذي تناول تفاصيل هذه الثورة دون إجمال كغيره، بل يذكر مراحلا أربع لها، تجعل من يطالعها يفهم هذه الثورة جيدا ودون لبس وتعقيد، كما وقفت عليه بنفسي في بعض المراجع الأخرى، حيث من كثرة التفاصيل يفقد المتتبِّع لها تركيزه معها، غير أنَّ هذا لا يعني أبدا أنَّ غيره لم يكن له إلمام بالثورة بل أنَّ هناك جديدا عندهم، وهذا من ناحية ما نُشِرَ من مصادر جديدة خاصة الفاطمية منها، والتي لم يستعملها السيد عبد العزيز سالم كما يبدو من كتابه، وله عُذره في ذلك بسبب عدم نشرها في وقت إعداده لكتابه، ولم يستدرك بالتنقيح والإضافة بعد ذلك.

[3]- عد إلى التفاصيل عند: السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ص 535-545، وفرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م)**، **التاريخ السياسي والمؤسسات**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م، ص 247-307.

استمرت الشدة على أهل إفريقية في هذه الفترة خصوصا، حيث ذكر القاضي عياض أنه "كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستُّر كأنهم ذمة تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة"[1]، وكتاب "المحن" لأبي العرب يتعرَّض لذكر الكثير من المسائل من هذا النوع، خاصة التي قال إنه أدركها وشهِدَها بنفسه[2].

عموما كانت الحالة السياسية بإفريقية في هذه الفترة، جد حرجة على المغاربة بعامة وعلى علمائها بخاصة، حيث كانت إفريقية في أخطر مرحلة من تاريخها، ميَّزتها الصراعات بين السلطة والرعية، بسبب رفض المغاربة الدعوة الشيعية الإسماعيلية.

وقيام دولة بني عبيد[3] من الناحية السياسية، كان خطرا على المغاربة وعلى هويتهم الناشئة وثقافتهم، حيث أثَّر ذلك القيام في عديد الجوانب، ورغم ما كان منهم، إلا أن المغاربة لم يستسلموا وواصلوا مقاومتهم، وبأشكال مختلفة حتى جلاء بني عبيد عن إفريقية نهائيا.

---

[1]- **ترتيب المدارك**، 318/3.

[2]- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد، **كتاب المحن**، تح. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1427هـ/2006م، ص 359-364.

[3]- **بنو عبيد**: اسم يُطلق على حكام الدولة الفاطمية، الذين كان أولهم عُبيد الله المهدي وهم يُنسبون إليه، ويُسَمَّوْنَ كذلك "الفاطميين" نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وينقسم المهتمون بأمرهم بين مدافع عن هذه النسبة ونازعها عنهم، و ممن يذكر كلاما عن نسبهم مع عدم القطع بشيء: ابن الأثير، في كتابه: **الكامل في التاريخ**، 577/6-583، وقد علَّق على كلامه مطوَّلا المقريزي في: **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، 118/1-140، مُثْبِتًا نسبتهم تلك، حيث استعان بدفاع عبد الرحمان ابن خلدون عنهم في كتابه: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، 37/4-38، وهناك تفصيل مفيد حول نسبهم عند فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ص 61-77، **قلت**: وممن نجد عندهم تسمية بني عبيد: أبو عبد الله محمد الصنهاجي في كتابه سابق الذكر: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**.

• **المبحث الثاني**: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

من المؤكد أن الكلام على الحالة الاجتماعية لأي بلد، يتطلَّب الإحاطة التامة بجميع جوانب ذلك البلد، وها نحن هنا نحاول الكشف عن الحالة الاجتماعية لإفريقية، في زمن حياة أبي العرب القيرواني، ومن الطبيعي أنَّ الاستفاضة في دراسة الحالة الاجتماعية لأي بلد ما، يستلزم أن يكون ذلك في دراسة مستقلة، وفي حالتنا هذه لن نتوسع كثيرا في ذلك إذ يكفينا أن نعرف مكوِّنات مجتمع إفريقية، حتى نستطيع فهمه ثم التأْريخ له.

طبيعي أن تصحب عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وفود بعض الأجناس من غير سكانها الأصليين من البربر، ومن كان فيها أيضا من بقايا البيزنطيين الذين شكَّلوا أقلية نصرانية، مع وجود بعض اليهود، كما أن هناك من جاء من صقلية بعد فتحها[1]، وكل هؤلاء تحت أي ظرف تواجدوا بإفريقية لا يهم، بل يهم أنهم أحد من شكَّلوا عناصر السكان في البلاد.

ويحدِّثنا اليعقوبي[2] عن الأجناس التي تقطن القيروان عاصمة إفريقية، التي نحن بصدد الكلام عن الحالة الاجتماعية بها، حيث قدَّر المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب أنه زارها سنة 267هـ/880م[3]، وهذا نص ما قاله اليعقوبي: "وفي مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند وبها عجم من عجم البلد من

---

[1]- حول التفصيل عن عناصر سكان إفريقية، خاصة في فترة حياة أبي العرب بها، انظر: حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، جمع وإشراف. محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1972م، 3/241-248.

[2]- أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، مؤرخ وجغرافي ورحالة وأديب، لا تُعرف بالضبط سنة مولده، له مؤلفات عديدة منها: مُصَنَّفُ التاريخ وأسماء البلدان وكتاب في أسماء الأمم السالفة وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم وغيرها، توفي سنة 284هـ/897م، انظر: عبد الرحمان حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1416هـ/1995م، ص 173-174، وأيضا: حسين عاصي، **اليعقوبي عصره سيرة حياته منهجه التاريخي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.

[3]- **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، 3/302.

البربر والروم وأشباه ذلك"[1]، إذن كان هذا وصفا دقيقا لطبيعة الأجناس التي بإفريقية زمن الأغالبة إعتمد فيه اليعقوبي على الحضور الشخصي، حيث يمكن أن تكون الأجناس التي تركزت بها، تفرَّقت هنا وهناك في مدن إفريقية الكثيرة، لظروف وعوامل كثيرة ليس هذا مكان بسطها.

وخلال بداية حياة أبي العرب بإفريقية، كان الحكم بيد الأغالبة، حيث قام هؤلاء بإعطاء العنصر العربي كثيرا من الامتيازات، وهذا ربما ليكون عونا لهم على استقرار حكمهم كما أن هناك الكثير من البربر تركوا الحياة بالجبال وهي عادتهم، واتجهوا نحو السهول في الضواحي للفلاحة، وأيضا كان هناك التجار والحرفيون من عدة أجناس، إذن هذا الوضع لا يمكن إلا أن ينتج فئات تؤلِّف هذا المجتمع، وبفعل تميُّز كل فئة بخاصية وعمل مُعَيَّنَيْنِ كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية متجانسة لاحتياج كل طرف للآخر وهذه الفئات يمكن حصرها فيما يلي[2]:

1- الفئة العربية: وتتألف من الأسرة الحاكمة ذات النفوذ السياسي، والولاة وقادة الجيش وعدد من ذوي الأراضي الشاسعة، التي أُخِذت من الولاة البيزنطيين عنوة.

2- **فئة الخواص:** وتتمثل في كبار رجال الدولة وكل من يحميهم ويخدم سياستهم، من قواد الجيش وموالي وحرس قصور الأمراء، وطبقة أنصار السلطة الحاكمة.

3- **فئة التجار:** سيطرت على أسواق القيروان أقليات، شكلت طبقة تجمعها مصالح اقتصادية ولو كان أغلبها من التجار الصغار.

4- **فئة النخبة المثقفة:** كانت هذه الفئة تضم عددا كبيرا من الفقهاء المتمسكين بمذاهبهم المدافعين عن مبادئها وأصولها، ومن بينهم أبو العرب محمد بن أحمد التميمي، حيث استطاعوا السيطرة على الحياة الفكرية والدينية، وكانت أوضاع عيش هذه الفئة تتميز بانتشار الفقر بينها أو شبه الفقر، كما كانوا يشكِّلون معظم الناس عموما.

---

[1]- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، **كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1860م، ص137.

[2]- الحبيب الجنحاني، **القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، دار سحنون، تونس، 2002م، ص 146-150، بتصرُّف يسير.

5- **الفئة الشعبية:** وتشمل جميع الفئات التي لا تملك نفوذا سياسيا ولا ماديا وتتمثل في:

- الجنود.

- أصحاب الحرف والصناعات اليدوية.

- الفلاحون الذين يعملون لصالح الفئات الغنية.

- عديمو الدخل الذين يلجؤون إلى التسول أو السرقة والنهب، وغيرها من طرق الكسب غير الشرعية.

- العبيد وهم آخر العناصر في هذه الفئة الشعبية، إذ هم محرومون من حريتهم عبيد لغيرهم.

ولما حلَّ الفاطميون بإفريقية، حلَّ معهم فكرهم وهيئتهم التي يريدون أن يكونوا عليها لذا فمن الطبيعي أن يحدث تغيُّر في طبقات مجتمع إفريقية الذي يحكمونه، وحتى إن لم تتغيَّر الطبقات يتغيَّر نمط حياة أصحاب هذه الطبقات، تبعا لما فرضه وجود السلطة الفاطمية من مستجدات، ويمكن أن نلخص طبقات مجتمع إفريقية وبعض صفاتها في ظل الفاطميين كما يلي[1]:

1- **طبقات الخلفاء ورجال الدولة:** حيث تشمل الحاكم الفاطمي ومقرَّبيه، وتعيش هذه الطبقة الترف في كل شيء، والمصادر التي أرَّخت لهم تصف مظاهر البذخ والأبهة التي كانوا عليها، وقد دام حال هذه الطبقة هكذا إلى حين جلاء الفاطميين عن إفريقية.

2- **طبقة الجند:** الذين يُشكلون الجيش، وأصحاب هذه الطبقة من الخُدَّام الأوفياء لسياسة الدولة، فبهم قاومت الأعداء والمناوئين، وفتحت المدن وحافظت على تثبيت أركانها لوقت طويل، وقد كان هؤلاء ينتمون إلى عناصر عرقية مختلفة، محلية من إفريقية وباقي المغرب

[1]- رفيق بوراس، **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف. محمد الصالح مرمول، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1427هـ - 1428هـ/2007م - 2008م، ص 39-80، بتصرُّف.

ومُستقدمة من خارجهما، ولضمان إخلاصهم وولاءهم ووفاءهم، تنوَّعت عطايا السلطة وهباتها لهم.

3- **طبقة التجار**: الذين يحترفون التجارة، حيث أنها إحدى أهم أركان الحياة في أي مجتمع وللتجار ارتباط وثيق بالسلطة، ونعني بهم الكبار منهم ممن لهم أموال ضخمة وليس أي تاجر إذْ من التجار من يكون بسيطا، ونتيجة لتزايد نفوذهم، أصبح كبار التجار بإفريقية حتى من خارجها، قدِموا إليها لما علموه من ازدهار اقتصادي بها حينها، وكثيرا ما تسبَّب أصحاب هذه الطبقة في حدوث اضطرابات بالمجتمع الإفريقي، بسبب الاختناق الاقتصادي الذي عاناه منهم لسيطرتهم على كل شيء، كما لم يَسْلَم أصحاب هذه الطبقة، من بطش السلطة أحيانا عندما تحس أنهم منافسون لها.

4- **طبقة العامة**: وتتشكل من أفراد الشعب البسطاء، وكذا علماء المذاهب الموجودة حينها عدا علماء مذهب الفاطميين إذ كانوا من المقربين للسلطة، ولا يخفى على الباحث ما تعانيه هذه الطبقة خاصة في ظل حكام كالفاطميين، حيث يتوجَّسون منها الثورة دوما كما أنَّ تشكُّلها من أخلاط مختلفة من مستويات عدة، هي حقيرة في نظر الفاطميين جعلها مصدر قلق دائم للسلطة، لذا وجب البحث دوما عن ما يلزم معها من سياسات قامعة في أغلبها وللتهدئة وربح الوقت أحيانا أخرى.

5- **طبقة العبيد**: حيث في معظم الأحيان، هم أهل خدمة وطاعة مطلقة لرجال الحكم ووجهاء الدولة، وقد اختلفت أجناسهم بين زنوج وصقالبة وروم، وقد يتميَّز كل جنس من هؤلاء عن الآخر بصفة وعمل مُعَيَّنَيْنِ، وإن كانوا في أكثر الأحيان اشتركوا في مهام كثيرة وذلك نظرا لتزايدهم واتساع نفوذهم، فأصبح منهم قواد الجيوش والعمال على شأن معين وهكذا حسب ما أُسند إليهم من مهام نتيجة الاحتياج إليهم.

6- **طبقة أهل الذمة**: وقد كان أفرادها من اليهود والنصارى، حيث يُشَكِّلون مجموعات تعيش بأحياء وأماكن خاصة بها، وكما نَعِمَ هؤلاء بالأمن في كثير من دول الإسلام المختلفة كان ذلك أيضا في ظل دولة الفاطميين، وقد كان أصحاب هذه الطبقة أكثر أعمالهم

التجارة، وقد جرى عليهم ما يجري أحيانا أو دوما على باقي سكان مجتمع إفريقية، حسب الأحوال والظروف السياسية القائمة.

وبخصوص الحياة الاقتصادية بإفريقية في هذه الفترة موضع دراستنا، والتي تمتد بين (250هـ - 333هـ/864م - 944م)، وهي الفترة التي عاش فيها أبو العرب بإفريقية مخضرما بين عهدي الأغالبة والفاطميين، نجد من خلال ما ذكرناه آنفا من الطبقات التي تكوِّن مجتمعة الفلاحين وأصحاب الصناعات والتجار، حيث كان هؤلاء وما يمارسونه من عمل يعتبر عماد الحياة الاقتصادية بإفريقية، لذا سوف أتكلم في هذا المقام عن الفلاحة والصناعة والتجارة وأيضا الضرائب التي فرضها الفاطميون حال سيطرتهم على البلاد.

إذن نحن بين عهدين، الأول زمن الأغالبة والثاني زمن الفاطميين، وسأعتمد في تقديم وصف للحياة الاقتصادية بإفريقية في هذين العهدين، على ما قدمه بعض الجغرافيين الذين زاروها، وممن وجدناهم يناسبون فترة دراستنا، اليعقوبي زمن الأغالبة من خلال مُصَنَّفِهِ "كتاب البلدان"، وابن حوقل[1] في الفترة الفاطمية، من خلال كتابه "صورة الأرض".

بالنسبة لليعقوبي فقد زار إفريقية كما ذكر حسن حسني عبد الوهاب، حوالي سنة 267هـ/880م[2]، بينما يذكر السيد عبد العزيز سالم أنه حلَّ بإفريقية بين (261هـ-274هـ/876م- 889م)[3]، أما ابن حوقل فقد قال أنه دخل مدينة المهدية الفاطمية سنة 336هـ/947م[4]، بينما ذكر جمال طه أنه كان بإفريقية حوالي سنة 310هـ/922م [5]، ومهما

---

[1]- أبو القاسم محمد بن علي الموصلي المشهور بابن حوقل، جغرافي ورحالة، ولد ببغداد ونشأ بها، من تراثه الذي وصلنا، كتاب صورة الأرض، وهو مطبوع مشهور، توفي سنة 367هـ/977م، انظر حوله: عبد الرحمان حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، ص 210-211، وأيضا: شاكر خصباك، **الجغرافية عند العرب**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، بلا.تا، ص 58-59.

[2]- **ورقات**، 302/3.

[3]- **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ص 321.

[4]- النصيبي أبو القاسم ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 73.

[5]- جمال أحمد طه، **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008م، ص 168.

يكن من أمر فاليعقوبي وابن حوقل، هما المعتمد عليهما في هذا الباب كما سبقت الإشارة إليه.

بالنسبة للزراعة التي كان يعمل فيها الفلاحون، عند مُلاَّك الأراضي وخواص البلد ممن لهم ضياع واسعة، حيث ازدهرت بشكل كبير أيام الأغالبة، نظرا للاستقرار الذي ساد في عصرهم، حيث تنوعت المحاصيل من المزروعات المختلفة، والمدن الإفريقية التي مرَّ بها اليعقوبي يذكر عنها ذلك، مثل مدينة قفصة التي قال بأنها ذات "ثمار موصوفة"[1]، وأيضا إقليم قسطيلية الذي به أربع مدن وصفها بأن "بها النخل والزيتون"[2]، ويذكر أيضا بلد الساحل فيقول عنه بأنه "كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم"[3]، كانت هذه خلاصة ما ذكره اليعقوبي عن الزراعة.

وفيما يخص ما ذكره ابن حوقل، عن الفلاحة وما منها من مزروعات، يبدأ بمدينة قابس التي قال أنها "ذات مياه جارية وأشجار متهدلة وفواكه رخيصة وبها من البربر الكثير ولهم من الزروع والضياع ما ليس مثله لمن جاورهم إلى زيت وزيتون وغلات"[4] ويصف مدينة صفاقس بأن "جل غلاتها الزيتون ... وهي قليلة الكروم"[5]، وعن مدينة المهدية يقول بأنها "خصبة رفهة الفواكه والغلات"[6]، وحول مدينة سوسة يذكر أنها "لها ضياع جمة ... وغلات واسعة"[7]، وعن مدينة تونس يقول "من غلاتها القطن ... وكذلك القنب والكرويا والعصفر"[8]، كما يصف أيضا مدينة قرطاجنة ويقول عنها بأنها "المشهور أمرها بالطيب وكثرة الفواكه وحسنها وجودة الثمار وصحة الهواء واتساع

---

[1]- اليعقوبي، **البلدان**، ص 139.

[2]- نفسه، ص 139.

[3]- نفسه، ص 139.

[4]- ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص 72.

[5]- نفسه، ص 73.

[6]- نفسه، ص 73.

[7]- **صورة الأرض**، ص 74.

[8]- نفسه، ص 75.

الغلات"[1]، كما يذكر أيضا مدينة باجة بأنها "مدينة قديمة أزلية كثيرة القمح والشعير ولها من الغلات والزروع ما ليس بجميع المغرب"[2].

وحول الصناعة، التي لا بد لها من مواد أولية كي تقوم، يذكر اليعقوبي مدينة مجانة قائلا "وبهذه المدينة معادن الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص بين جبال وشعاب"[3]، ولا شك أن هذه المعادن كل منها يُستعمل في صناعة معيَّنة، وتُصبح المدينة تتمتع بنشاط اقتصادي صناعي واسع، كما ذكر مدينة سوسة حيث بها "دار صناعة تُعمل فيها المراكب البحرية"[4]، أي تُصنع فيها السفن، كما أشار إلى أنَّ بمدينة تونس "دار صناعة"[5]، لكن لم يذكر ما طبيعتها، والتي يُمكن أن تكون متنوِّعة، حيث لم يتوسع اليعقوبي في تفصيل أمرها.

أما ما ذكره ابن حوقل حول الصناعة، فنجده يقول عن مدينة قابس بأن بها "جهاز من الصوف كثير ويُعمل بها الحرير الكثير الغزير وبها جلود تُدبغ بالقرظ"[6]، ويعني هذا أن بها صناعة النسيج والغزل للملابس الصوفية والحريرية، وكذا دباغة الجلود وتهيئتها لأغراض مختلفة.

ويذكر السيد عبد العزيز سالم، بأن أهم الصناعات التي انتشرت بإفريقية في عصر الأغالبة، والذي منه فترة دراستنا: "صناعة الآلات الحديدية اللازمة لصناعة السفن والسيوف والسروج ولجم الخيل وصناعة التحف المصنوعة من الذهب والفضة"[7] ويضيف أيضا أنه "ازدهرت صناعة الزجاج وكان في القيروان حيا خاصا بالزجاجين مما يدل على شهرة القيروان في هذا النوع من الصناعات"[8]، وأيضا "يذكر صناعة الخزف

---

[1]- المصدر السابق، ص 75.

[2]- نفسه، ص 76.

[3]- **البلدان**، ص 138.

[4]- نفسه، ص 137.

[5]- نفسه، ص 138.

[6]- **صورة الأرض**، ص 72.

[7]- **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ص 323.

[8]- نفسه، ص 323-324.

والسجاد"[1]، ومهما يكن من أمر فما ذكرناه يدل على وجود الصناعة، وتعدُّدها بأشكال مختلفة مع تخصيص أماكن لها، ما يبيِّن ازدهارها في جميع وجوهها.

بالنسبة للتجارة ورواجها فهي إما تكون داخلية في أسواق مدن إفريقية، أو خارجية مع غيرها من البلدان، وتُهِمنا هنا التجارة في الداخل نظرا لارتباط ذلك بالكلام على الأوضاع العامة بإفريقية في مدة دراستنا هذه، رغم أنه حتى التجارة الخارجية هي صورة من صور ازدهار التجارة ونجاحها في الداخل أو العكس، وما ذكرناه آنفا من تطور وازدهار للفلاحة والصناعة، لا شك وأن يلقي ذلك بظلاله على التجارة، حيث أن ما يبيِّن رواجها هو كثرة الأسواق ونشاطها الكبير في مختلف مناطق إفريقية، وقد ذكر اليعقوبي جزيرة أبي شريك قائلا بأنها "كثيرة التجارة"[2] حيث هي منطقة تبادل مع مدن إفريقية، كما يذكر حسن حسني عبد الوهاب[3] أن الكثير من الرحالة المشارقة ذكروا أن عهد الأغالبة كانت فيه القوافل التجارية تمر بسلام دون أي أخطار، وهذا الذي ذكره يؤكد السيرورة التي عليها تجارة إفريقية في ذلك العهد خاصة بين مناطقها الداخلية، إذ ربما تحتاج كل منطقة لأخرى فيما ليس عندها من لوازم.

وقد اشتهرت الكثير من الأسواق بإفريقية، نظرا لكثرة السلع والمنتوجات، وقد أشارت المصادر إلى بعضها، فذكر الخشني بعضها في معرض ترجمته لبعض علماء إفريقية فقد ذكر سوق العطارين حين ذكره لأبي بكر الوكيل قائلا "كان سكناه في سماط العطارين بالقيروان"[4]، فالسماط هنا هو الجانب المخصص لشييء معيَّن[5]، حيث أنَّ أبا بكر هذا يسكن بجانب سماط العطارين الذي هو سوق لهم، وفي ترجمته لسليمان بن عمران ذكر سوقا مخصصا للجمال قائلا: "قال لغلامه يا بشر اذهب إلى صاحب سوق من سوق

---

[1]- المرجع السابق نفسه، ص 324.

[2]- **البلدان**، ص 137.

[3]- **ورقات**، 318/3.

[4]- الخشني محمد بن حارث، **علماء إفريقية**، ص 229.

[5]- الفيومي أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، بلا.تا، مادة: (السماط)، ص 313-314.

الجمال"[1] ومن المؤكد أن هناك أسواقا مخصصة لحيوانات أخرى، كما ذكر سوق الصوافيين الذي يباع فيه الصوف، وذلك في ترجمة يحي بن أبي عمرو ميمون أنه "كان يلزم سوق الصوافيين"[2]، كما ذكر سوق الصرف الذي هو مخصص للمعاملات المالية في ترجمة محمد المعروف بابن أحد الشركاء، حيث قال أنه كان "يلزم سوق الصرف"[3] هذا بالنسبة لبعض ما ذكره الخشني.

نأتي لبعض ما ذكره المالكي، في ترجمته لأبي عمرو هاشم بن مسرور قال: "وكان رضي الله عنه يقف يوم الخميس عند سوق الدجاج"[4]، حيث هو إضافة لما ذكرناه من وجود سوق للجمال، كما يبيِّن هذا أيضا أنه يُخصَّص لكل حيوان أو شيء آخر يُباع يوم معيَّن كما ذكر عن أبي عمرو أنه "يقعد بالعشي عند سوق الغزل فإذا رأى امرأة خرجت بخصلة لها قال لها ..."[5]، فهذا يُبَيِّن أن الغزل ربما يعني الصوف الذي ذكرنا أن له سوقا لكن يمكن أن يكون ذلك هو سوق الصوف كمادة خام، وهذا الآخر هو سوق ما يُعمل من منتوجات صوفية، كما ذكر عن أبي عمرو أيضا أنه "كان يخرج في الشتاء يقف عند باب تونس ومرة على باب نافع ومرة على باب أبي الربيع فإذا بصر بشيخ أو شاب خرج بحبل يحتطب في شدة البرد والريح ردَّه وقال ارجع هذه نفقتك ونفقة عيالك"[6]، وهذا يُبَيِّن أن هناك سوقا للحطب الذي يُباع للعيش بثمنه.

إضافة لما ذكرناه، نجد العديد من الأسواق الأخرى، مثل "سوق الطعام لبيع القمح وسوق الرهادنة وهم الباعة المتنقِّلون الذين يبيعون الأمتعة القديمة وسوق البزازين وسوق

---

[1]- الخشني، **علماء إفريقية**، ص 238.

[2]- المصدر نفسه، ص 253.

[3]- نفسه، ص 285-286.

[4]- المالكي، **رياض النفوس**، 146/2.

[5]- نفسه، 146/2.

[6]- نفسه، 147/1.

الكتانين وسوق الخيل وسوق البركة لبيع الخدم والغلمان والعبيد وسوق الخشابين وسوق الخزف وسوق السرَّاجين وسوق الورَّاقين"[1].

ونظرا لكثرة الأسواق في العهد الأغلبي بإفريقية، زمن عيش أبي العرب بها، عَمِدَ الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، إلى ضبط أمور التعامل المادي في البيع والشراء، عن طريق ضرب دراهم لهذا الغرض، قال ابن عذاري "وضرب إبراهيم بن أحمد دنانير ودراهم سماها العاشرية في كل دينار منها عشرة دراهم"[2]، وقد نتج عن ذلك أن استقرت سوق المال في عهده[3].

وهكذا فأخبار الأسواق كثيرة كثرة ما يُباع فيها، وتخصيص جانب معيَّن لأهل بيع معيَّن أو يوم معيَّن لبيعهم، دلالة على التنظيم الذي حظيت به الأسواق بإفريقية في هذه الفترة موضع دراستنا، وقد جعل هذا التنظيم، أهل العلم بإفريقية يُصنفون كتبا ومؤلفات تبيِّن ما يجب من الناحية الشرعية في الأسواق، وكذلك ما يعرض للبائع والمشتري من مسائل، ونجد في هذا المضمار كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الكناني الأندلسي[4] وأيضا كتاب مسائل السماسرة لأبي العباس الإبياني[5]، حيث هما صالحان للاستفاضة في دراسة جوانب عديدة من الحياة العامة بإفريقية في وقتهما.

---

[1]- جمال أحمد طه، **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، ص 92-94.

[2]- **البيان المغرب**، 121/1.

3-Muhammad Abu-l-faraj al-ush, **Monnaies Aglabides**, Damas, 1982, p25.

[4]- أبو زكريا يحيى بن عمر الأندلسي، ولد سنة 213هـ/828م، أحد أشهر الفقهاء بإفريقية في وقته، من أشهر مؤلفاته: كتاب أحكام السوق، والرد على الشافعي، وغير ذلك كثير، توفي سنة 289هـ/901م، انظر حوله: الخشني، **علماء إفريقية**، ص 184-186، والمالكي، **رياض النفوس**، 490/1-504، وابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، 162/2.

[5]- أبو العباس عبد الله التميمي الإبياني، أحد وجوه المالكية بإفريقية، ولد سنة 252هـ/866م، من آثاره: مسائل السماسرة، وهو مطبوع، توفي سنة 352هـ/963م، انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، 369/1-370، ومقدمة تحقيق كتابه **مسائل السماسرة**، التي عملها محققه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ص 5-16، ومحمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، 128/1.

أما عن حركة التجارة خلال فترة حكم الفاطميين بإفريقية، فلا نجد لها وصفا خيرا مما أورده ابن حوقل، حيث قال عن مدينة قابس "بها جلود تُدبغ بالقرظ وتعم أكثر المغرب"[1] فهذا يُبيِّن أن المناطق الأخرى من إفريقية تستورد منها الجلود، وذكر مدينة صفاقس فقال إنَّ "أسواقها عامرة"[2]، كما ذكر بعض الأسعار وقارنها بغيرها، أما عن المهدية فقال إنها "كثيرة التجارة ... وتجارها طراة"[3]، وفي مدينة سوسة "أسواق حسنة"[4]، وذكر أن بإقليم الجزيرة موضعا يقال له "منزل باشوا"[5] تقوم فيه سوق مؤقتة لأيام، وهذا يزيد في توضيح طبيعة الأسواق بإفريقية في هذه الفترة، حيث تنقسم إلى مؤقتة متنقلة وما يقابلها من الأسواق الدائمة الثابتة، ويذكر ابن حوقل أيضا مدينة طبرقة بأن شهرتها أتت من "كثرة ورود المراكب بالأندلسيين والتجار عليها"[6]، إذن جاءت هذه المعلومات التي ساقها ابن حوقل على درجة كبيرة من الأهمية، لمن يريد التعمق أكثر في دراسة الحركة التجارية بإفريقية في هذه الفترة والحياة الاقتصادية بشكل عام.

إضافة لما سبق عن الحياة الاقتصادية بإفريقية زمن الفاطميين، فقد كان من المفيد أن نُدخل مسألة الضرائب التي فُرِضَتْ ضمن ذلك، من خلال ذكر طبيعتها وفيما تمثَّلت حيث تُعتبر مسألة الضرائب، مظهرا من مظاهر شدة أو رخاء الحياة الاقتصادية، وكذلك ميَّزت عهد حكم الفاطميين بإفريقية أكثر من غيرهم، ولأنها أحد ركائز السياسة المالية المحكمة التي اتبعها الفاطميون[7]، إضافة إلى كونها إحدى الأساليب المتبعة في إخضاع الشارع العام المناهض لهم.

1- **صورة الأرض**، ص 72.

2- نفسه، ص 73.

3- نفسه، ص 73.

4- نفسه، ص 74.

5- نفسه، ص 75.

6- نفسه، ص 76.

7- Claude Cahen, **L'islam des origines au début de l'Empire Ottoman**, paris,1970, p 165.

وعلى الرغم من تنظيم الفاطميين للحياة الاقتصادية بإفريقية، خاصة في شقها التجاري كما شهدت بذلك نصوص ابن حوقل في كتابه صورة الأرض[1]، إلا أنهم وضعوا أيديهم على كل شيء، في هذه الحياة التي هي عماد قُوَّتهم وبقائهم، ولضمان سيرورة مخططاتهم كانت الضرائب المختلفة والتي اشتطوا في فرضها، أحد مصادر مدِّهم بالمال لتنفيذها، حتى أثقلوا كاهل السكان وعجز كثير منهم عن دفعها[2] والتي سنعرف بعضها فيما يلي:

يذكر الخشني في ترجمته لأبي جعفر أحمد بن أحمد بن زياد المتوفى سنة 318هـ/930م أنه "أُمتُحن في آخر عمره بمغارم السلطان الحادثة على أهل الضياع فانكشف وأكب عليه الغرم والإقلال وتكاملت عليه مع ذلك المغارم فلجأ بنفسه إلى محمد بن أحمد البغدادي متوسلا به إلى عبيد الله يسأله التخفيف بأي وجه رآه"[3]، فهذا الخبر يُبيِّن فرض الضرائب مبكِّرا من طرف الفاطميين، وتمثَّل ذلك في ضريبة على كل من يمتلك ضيعة تُنتج غلالا ومحاصيل مختلفة، وتدعى هذه الضريبة بـ: "التضييع"، وذكرها ابن عذاري في حوادث سنة 305هـ/917م فقال: "وفيها أُخِذَ أهل الضياع بأعمال إفريقية بمغرم سُمِّيَ التضييع"[4].

كذلك ذكر ابن حوقل أن بمدينة قابس "صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود وسائمة كثيرة"[5]، ويهمنا من هذا الخبر ذكر اليهود بهذه المدينة، إذ الضرائب التي عناها ابن حوقل مفروضة عليهم إضافة إلى الجزية المُتعارف عليها، ويكونون عمَّمُوها بعد ذلك على كافة اليهود بباقي مدن إفريقية.

---

[1]- حول هذه النقطة يحسُنُ الرجوع كذلك إلى: الحبيب الجنحاني، **دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الاسلامي**، بيروت، ط2، 1986م، ص 83-87، وبوبة مجاني، **المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب الإسلامي**، منشورات الزمن، الرباط، 2005م، ص 39-45.

2- Georges Marçais, **La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age**, Aubier paris, 1946, p 144.

[3]- **علماء إفريقية**، ص 222.

[4]- **البيان المغرب**، 181/1.

[5]- **صورة الأرض**، ص 72.

نجد ابن عذاري يذكر أنَّه في سنة 309هـ/923م، "أمر عبيد الله بأن يكون طريق الحاج على المهدية لأداء ما وُظِّفَ عليهم من المغارم في الشطور وألا يتعدى هذا الطريق أحد"[1] فهذه الضريبة على من يريد الحج، حيث الطريق إليه يكون بالمرور على العاصمة الفاطمية المهدية، ودفع الضريبة كان على هذا المرور، ويمكن أن يكون تحديد الطريق على المهدية ودفع الضريبة، للاستخبار على نوايا من يريد الخروج إلى الحج، وذلك لأسباب أمنية محضة، خاصة ودولة بني عبيد ما زالت في بداياتها، من هنا نعلم مدى درجة تحكم الفاطميين بالوضع في إفريقية، وكيف تم توظيف الضرائب لهذا الغرض[2].

وبإلقاء نظرة عامة على الموارد المالية للفاطميين بإفريقية، نجد الضرائب أحد مكوناتها الأساسية بأشكالها المختلفة، وهي تأتي "إما عن طريق الزكاة والأعشار المفروضة على الحبوب والحيوانات أو من كراء الدولة للمراعي ومصائد الأسماك أو من الجمارك على السلع الصادرة والواردة البرية والبحرية إلى الأندلس وبلاد الروم ومصر والسودان"[3] ورغم كل ما ذكرناه فقد ظلت بعض الضرائب غامضة وغير معروفة لعدم توفر معلومات عنها[4].

---

[1]- **البيان المغرب**، 1/186-187.

[2]- إن الضرائب عند الفاطميين ببلاد المغرب، يشبهها الأستاذ محمد الصالح مرمول، بما كانت تفرضه السلطة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر، ووجه الشبه هو معاناة الرعية في بلاد المغرب.

[3]- محمد الصالح مرمول، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 241.

[4]- بوبة مجاني، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي** (296 - 362هـ/909م - 973م)، الجزائر - ليبيا - تونس - المغرب، دار بهاء الدين الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، و عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، ص 175.

• **المبحث الثالث**: الحياة الدينية والفكرية

يُعَد الواقع الديني والفكري في أي مجتمع، من أبرز محدِّدات سماته التي يُعرف بها وإفريقية واحدة من هذه المجتمعات، إذ كان دخولها تحت راية الإسلام حدث غيَّر مجرى تاريخها حيث ساهم في تكوين شخصيتها الدينية والفكرية، بشكل ما زالت آثاره إلى اليوم، ونحاول في فترة دراستنا في هذا البحث، تسليط الضوء على الحياة الدينية والفكرية بها، كما كنا قد بحثنا الجوانب السابقة.

وتتمثَّل الحالة الدينية والفكرية في إفريقية خلال فترة دراستنا في المذاهب والعلوم، إذ بعد تمكُّن الإسلام فيها، وعلى غرار المشرق الإسلامي، ظهرت بها العديد من التيارات المذهبية المختلفة، والتي بدورها كان لها أثر واضح على الحياة الفكرية، ونقتصر الكلام على المذاهب الكبرى التي كان لها حضور قوي مثل المذهب الإباضي والحنفي والمالكي والشيعي الإسماعيلي على النحو الآتي:

بالنسبة للمذهب الإباضي، فقد دخل إلى بلاد المغرب منذ منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن للميلاد، وانتشر في كثير من أنحائها، وقد استطاع أتباعه تكوين دولة بالمغرب الأوسط (الجزائر) عُرِفَت بالدولة الرستمية[1]، وبإفريقية كان هذا المذهب موجودا أيضا حيث يعقد أتباعه حلقات بجامع القيروان، ويذكر أبو العرب ذلك في ترجمته للقاضي سحنون حيث قال: "كان أول من شرَّد أهل الأهواء من المسجد الجامع وكانوا فيه حلقا للصفرية والإباضية مظهرين لزيغهم"[2]، ورغم قساوة هذا الكلام الذي قال به أبو العرب، إلا أنه من وجه آخر يعكس الصراعات المستشرية حينها.

---

[1]- إحدى الدول الإسلامية التي قامت ببلاد المغرب، وتحديدا بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وذلك سنة 160هـ/777م حتى إلى سنة 296هـ/909م، حين أسقطها الشيعي داعية بني عبيد الفاطميين، وقد أُلِّفت حولها دراسات كثيرة، انظر حولها: ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. محمد ناصر و إبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1987م، ص 25-48، ومحمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي**، دار العودة، بيروت و مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976م، ص 107-114، وإبراهيم بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط2، 1994م.

[2]- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 184.

وقد شارك أبو العرب نفسه في ثورة قادها أحد الإباضية ضد الفاطميين وهو أبو يزيد النكاري، حيث يدل هذا على قوة هذا المذهب بإفريقية حينها و قدرة تجنيده للناس.

وبخصوص المذهب الحنفي، فقد كان من الطبيعي أن يُوجد بإفريقية، وأن يكون له شأن بها، إذ تبناه حكامها الأغالبة، حيث هو مذهب الدولة العباسية التي يحكمون باسمها إفريقية، وكان أكثر من يُقبِلون على اعتناق هذا المذهب، من يكونون من أصل عراقي أو فارسي[1] دخلوا إلى إفريقية.

وكان دخوله أول مرة إليها، عن طريق أسد بن الفرات، في قصة طويلة يذكرها الجغرافي المقدسي[2] مُلخَّصُها أنَّ عبد الله بن وهب[3] تعلَّم على مالك بن أنس بالمدينة المنورة، ورجع إلى إفريقية فأراد ابن الفرات أن يفعل مثله، حيث كَبُرَ عليه أن يدرس على عبد الله بن وهب، فذهب إلى مالك بالمدينة فوجده مريضا، وطال عليه المقام هناك، فأشار عليه مالك بأن يذهب للقراءة على عبد الله بن وهب فقد أودعه علمه، فلم يفعل ابن الفرات ذلك لعزة نفس اعترته، وسأل بعض أهل المدينة من هو النظير لمالك، فأشاروا عليه بمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بالكوفة في العراق، فقصده أسد وأخذ عنه ورجع بعدها إلى إفريقية، وأخذ ينشر آراء الحنفية بها فانبهر بها البعض واعتنقوا المذهب.

يشير عبد العزيز المجذوب[4] في معرض كلامه عن قُدوم المذاهب إلى بلاد إفريقية، إلى أنَّ السَبَّاق في تركيز قواعد مذهب أبي حنيفة النعمان بها قبل غيره، هو عبد الله بن فَرُّوخ

---

[1]- عبد العزيز المجذوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، ص 71.

[2]- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ط2، 1906م، ص 237.

[3]- أبو محمد عبد الله بن وهب الفهري مولاهم المصري، ولد سنة 125هـ/742م، طلب العلم وله من العمر 17 سنة، وكان من العلماء العُبَّاد وأوعية العلم، له مؤلفات منها كتاب الجامع وكتاب القدر وكتاب المناسك وغيرها، توفي سنة 197هـ/812م، انظر حوله: القيسي محمد بن أبي بكر، **إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك**، تح. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ص 90-95، وابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، **أخبار ابن وهب وفضائله**، تح. قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م، ص 104-107.

[4]- **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، ص 71.

الفارسي[1] الذي وُلد سنة 115هـ/733م، ويبدو ذلك صحيحا، من ناحية أنَّ ابن فرُّوخ أكبر عمرا من أسد بن الفرات، الذي كان مولده سنة 142هـ/759م، حيث وُلد ورحل وتعلَّم وأخذ مذهب أبي حنيفة، وجاء به إلى إفريقية، ولم يُولد أسد بعد، ومع ذلك فحتى أسد له باع طويل في نشر هذا المذهب بإفريقية، رغم أنَّ بعضهم عدَّه مالكيا[2]، ويبدو أن سبب فعله كلَّ ما ذكرنا، هو أنه أراد أن يحصل له شرف التتلمذ على مالك كما حصل لابن وهب، فلما لم يُوَفَّق قرَّرَ المخالفة، وجعله ذلك مختلفا بين مذهبي مالك وأبي حنيفة فاعتبره كُلُّ من عرفه أنه كذلك.

ونجد واندرهايدن يذكر أنَّ من أوائل الأحناف بإفريقية وأبرزهم عبد الله بن المغيرة حيث يصفه بأنه صاحب علم كبير واجتهاد وله تآليف حسنة[3]، وقد ترجم أبو العرب لعبد الله هذا وذكر أنه أحد القادمين لإفريقية وأن أهلها أخذوا عنه[4].

ويذكر المجذوب أيضا، أنَّ بعض معتنقي المذهب الحنفي، لم يكونوا جادين في السير بتعاليم مذهبهم، حيث خالطوا السلطة واعتقد بعضهم أفكار فرقة المعتزلة[5]، وكذا قالوا

---

[1]- أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، قدم أبوه إفريقية فَوُلِدَ له بها عبد الله سنة 115هـ/733م، وقرأ بإفريقية والعراق، ساهم وتلامذته في انتشار الحنفية بإفريقية، توفي سنة 172هـ/788م، انظر: الهروي علي بن سلطان، **الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية**، تح. محمد زاهد كامل جول، منشورات الجمل، بغداد – بيروت، 2012م، ص 343-344، وحسن حسني عبد الوهاب، **ورقات**، 3/45-46.

[2]- راضي دغفوس، **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، ص 266-267.

3- Vonderheyden (M). **La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû l-Arlab (800 – 909)**,Librairie orientaliste Paul Geuthner, paris,1927, p 140.

[4]- أبو العرب، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 161،162.

[5]- من أشهر الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، والمعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء، وللاعتزال قديما صولات وجولات في الفكر الإسلامي، حيث أصبح مذهبا كلاميا، وهو يعد اليوم منقرضا إلا نتفا لا تُعَد هنا وهناك للاستزادة انظر حوله: ابن المرتضى أحمد بن يحيى، **طبقات المعتزلة**، تح. سوسنه ديقلد قلزر، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، بلا.تا، ص2-8، والمعتزلي أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد ابن الخياط، **كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**، تح. نيبرج، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الندوة الإسلامية، القاهرة – بيروت، 1987م – 1988م، ص 45-49، والشهرستاني محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تح. محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا.تا، 1/43 وما بعدها.

بتحليل النبيذ المُسْكِر، وقد أدى هذا إلى إثارة المالكية ضدهم وهم المعروفون بمحافظتهم الشديدة، الأمر الذي بدوره أفضى إلى صراع بينهما، عُرِف بالصراع بين الأحناف والمالكية ويميل المجذوب إلى أنَّ إنكار المالكية على الأحناف كان بسبب تلك المسائل التي ذكرناها والتي حادوا بها عن الحق، فتطوَّر الأمر إلى صراع، ومهما يكن فقد عاش المذهب الحنفي بإفريقية حينا من الدهر وعُفِيَ أثره، ثم عاد من جديد زمن الأتراك العثمانيين.

وحول مذهب المالكية، فقد كان دخوله لإفريقية على يد ثلة من طلبة العلم بها، رحلوا للمدينة المنورة وأخذوا عن مؤسِّسِه مالك بن أنس، وقد ذكر عياض ذلك بقوله "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وَفَضَّ حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[1].

وقد صار لمذهب الإمام مالك بن أنس سطوة بإفريقية، لما لمسه أهلها من يُسر وسهولة وموافقة للفطرة السليمة فيه، حيث جعله أحد الباحثين[2] مُشكِّل الهوية الإفريقية والمغاربية عموما، منذ بدء انتشاره رغم الهزات المختلفة التي ضربت بلاد المغرب الإسلامي، تارة في شكل طوائف وفرق، وتارة أخرى في شكل سلطة سياسية تريد فرض رُؤَاهَا بالقوة مثل الفاطميين، وقد درج هذا المذهب بإفريقية على يد ابن زياد[3] وابن

---

[1]- **ترتيب المدارك**، 54/1.

[2]- إدريس الكتاني، **دور المذهب المالكي في بناء الشخصية العربية الإسلامية لسكان إفريقيا الشمالية وموريتانيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص 239.

[3]- أبو الحسن علي بن زياد العبسي، ثقة حافظ متقن وأحد الذين رووا الموطأ عن الإمام مالك بن أنس، حيث كان أول من أدخله إفريقية، توفي سنة 183هـ/799م، انظر: القيسي، **إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك**، ص 270، ومخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، 91/1، ومحمد مسعود جبران، **علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2010م، ص 57 وما بعدها.

أشرس[1] والبهلول بن راشد[2]، وأعان أسد بن الفرات على نشره، واكتمل نضجه التام على يد الإمام سحنون[3]، الذي ترك بصماته عليه إلى يوم الناس هذا، ونتيجة لتأثيره هذا عليه فقد كانت له السيطرة بإفريقية والمغرب عموما عند منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد[4]، وكان من أبرز أعلامه، صاحبنا أبو العرب الذي يدور حوله هذا البحث.

بقي أن نتكلَّم عن مذهب أخر، وُجد بإفريقية مع ظهور أصحابه بني عبيد الفاطميين ألا وهو المذهب الشيعي الإسماعيلي، الذين حاولوا فرضه بالقوة على شعب إفريقية، والذي واجه هذا المذهب ورُعاته بالمقاطعة الشديدة، لما أظهره الفاطميون من تغيير واضح للشعائر التي اعتادها أهل إفريقية من غير مذهبهم، حيث أرادوا بذلك القضاء على جميع المذاهب الأخرى وطمس هوية البلاد.

وقد مرَّ معنا في الحياة الاقتصادية، مدى سيطرتهم الكبيرة على الوضع، حيث لم تستطع ثورة أبي يزيد النكاري ولـ 14 عاما من إسقاط سلطتهم، إلا أنَّ مالكية إفريقية ومعهم الغيورين من أهل المذاهب الأخرى، استطاعوا أن يُشْعِرُوا الفاطميين بأنهم غبر مرغوب فيهم ببلدهم، وذلك بأساليب عديدة كان أبرزها المقاطعة لكل ما يمت إليهم بصلة، رغم ما عانوه من محن شديدة تشيب لها الولدان[5].

---

[1]– أبو مسعود بن أشرس، سمع من مالك وأحد أكبر أعلام مذهبه، لا تُعرف سنة مولده ولا وفاته رغم شهرته، انظر: أبو العرب، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 223، و المالكي، **رياض النفوس**، 1/252-253.

[2]– أبو عمر البهلول بن راشد القيرواني، ولد سنة 128هـ/745م، أشهر المالكية بإفريقية في زمانه، جمع بين العلم والعمل، توفي سنة 183هـ/799م، انظر: عياض، **ترتيب المدارك**، 1/330-339، ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، 1/280.

[3]– حول خدمة الإمام سحنون لمذهب مالك بإفريقية، وكيف أسَّس قواعده وإكمال ابنه محمد الدور من بعده، انظر: محمد أبو الأجفان، **بحوث ومقالات فقهية**، جمع وضبط وتقديم. مختار الجبالي، دار سحنون، تونس ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م، ص 572- 579.

[4]– راضي دغفوس، **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، ص 261-278.

[5]– زاهر بن سالم بلفقيه، **مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني محمد بن أحمد التميمي (251 – 333هـ) حياته – مؤلفاته – أقواله في الرجال**، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، ص 29-34.

طغت المذهبية على الحياة الدينية بإفريقية زمن عيش أبي العرب بها، وكانت المذاهب الموجودة حينها المحرك الرئيسي للحياة الفكرية، وذلك من خلال ما كانت تضم من علماء وما أنتجت من مؤلفات، ولا ننس أيضا ما ساهمت به السلطة من إيجاد هيئات علمية ترعى الفكر والثقافة، ويمكن تلخيص المظاهر العامة للحياة الفكرية في فترة دراستنا هذه بما يلي:

– تأسيس بيت الحكمة سنة 264هـ/877م[1] بمدينة رقادة الأغلبية، كهيئة علمية تؤدي دور الحاضن لكل العلوم المنتشرة بإفريقية حينها، وقد قام بيت الحكمة بوظيفته كجهاز علمي معرفي.

– تميزت الحركة الفكرية في معظمها، بكونها يطغى عليها الجانب الديني، من فقه وحديث وعلوم القرآن وخاصة التفسير، حيث أثَّر ذلك على الجوانب الأخرى كالأدبية مثلا، فبالنسبة للشعر والنثر كانا مصطبغين بمسحة التقوى والورع والتعبُّد، وقليل منهما في المراثي والمديح والفخر، وهما بعيدان عن التكلُّف وتزويق الألفاظ، لشدة المحافظة التي طبعت أهل إفريقية[2].

– بروز الكثير من العلماء ومؤلفاتهم، ذات الصلة بالواقع الفكري يومها، وهذه المؤلفات تعكس الصراع المذهبي حينها، أو الاعتزاز وإثبات الحضور، أو لنفي أصول مذهب ما فتكون ردودا في أغلبها وهي كثيرة جدا، وسنقتصر هنا على ما يناسب فترتنا ومنها:

– "كتاب الرؤية و كتاب الرد على المرجئة"[3]، و "كتاب الحجة في الرد على الإمام الشافعي"[4]، والتي ألَّفها يحي بن عمر الأندلسي (ت 289هـ/901م).

---

[1]– محمد توفيق النيفر، **الوسطان التقليديان السني والشيعي وبيت الحكمة القيرواني**، مقال ضمن كتاب: **بيت الحكمة بين بغداد والقيروان**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2011م، ص 36.

[2]– أبو القاسم الفزاري، **القصيدة الفزارية في مدح الخليفة الفاطمي المنصور**، تح. مصطفى الزمرلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م، مقدمة التحقيق، ص 41.

[3]– يوسف حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري «90/450هـ»**، 1421هـ/2000م، 25/2.

[4]– محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، 425/3.

– "الرد على الشافعي"[1] و "كتاب المقالات"[2] وهو في الرد على الشيعة و "كتاب معاني الأخبار"[3] وهو في الشروح، وجملتها لسعيد بن الحداد (ت 302هـ/914م).

– "كتاب تجديد الإيمان من شرائع الإسلام"[4]، وقد ألَّفه أحمد بن عبد الرحمان القصري (ت 322هـ/933م).

– "كتاب الطهارة و كتاب عصمة النبيين و كتاب الآثار والفوائد و كتاب فضائل مالك بن أنس"[5]، وكلها من تأليف أبي بكر محمد بن اللباد (ت 333هـ/944م)، فعصمة النبيين، يكون رد به على الشيعة، الذين أشركوا أئمتهم في العصمة مع النبيين، وكتاب فضائل مالك بن أنس، يبدوا أنه للاعتزاز بمذهبه وترجيحه على غيره، وربما يكون للدعوة للتمسُّك به، كنقيض لما نشره الفاطميون من عقائد هي منحرفة في نظره.

– "الوثائق والشروط وكتب في أحكام القرآن وكتاب في مواقيت الصلاة"[6]، والتي ألَّفها أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد (ت 318هـ/930م).

– "كتاب الرد على من خالف مالكا"[7] لعبد الله بن أحمد بن طالب (ت275هـ/888م).

– تآليف أبي العرب نفسه، والتي سيأتي الكلام عنها.

وبعض أعلام الأحناف بإفريقية، كانوا في عهد الأغالبة، قد مالوا إلى أفكار المعتزلة بسبب مخالطتهم حكام الدولة الذين ناصروه، وعلى عهد الفاطميين مالوا إلى نحلتهم، نكاية بالمالكية[8]، الذين بدورهم أطلقوا عليهم وصف "المشارقة" و "الذين تشرَّقوا"، وفي ظل هذا

---

[1]– الخشني، **علماء إفريقية**، ص 204.

[2]– يوسف حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية**، 111/2.

[3]– زاهر بن سالم بلفقيه، **مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني**، ص 43.

[4]– حوالة، **الحياة العلمية**، 111/2–112.

[5]– ابن فرحون، **الديباج المذهب**، 154/2.

[6]– الخشني، **علماء إفريقية**، ص 221.

[7]– الشاذلي النيفر، **من المساهمة الإفريقية في العلوم الإسلامية**، مقال ضمن:**كتاب الأصالة**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1983م، ج 1 ص 122.

[8]– المجذوب، **الصراع المذهبي**، ص 112.

الأمر كانت تآليفهم مُنْصَبَّةً في فترة دراستنا هذه، حول مسألة خلق القرآن فاشتهر منهم "سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء، الذي له كتب في مذهبه في خلق القرآن، وكذلك محمد بن الكلاعي الذي صنف كتابا يؤكد فيه القول بخلق القرآن، الأمر الذي جعل كلا من الفقيهين المالكيين سعيد بن الحداد وإبراهيم بن محمد الضبي المتوفى سنة 297هـ/910م، يردان عليهما بالتصنيف في ما ينقض نحلتيهما[1].

ينقضي العهد الأغلبي، ويأتي حكم الفاطميين الشيعة، فتنقلب الاهتمامات ويتغيَّر منطق الصراع، حيث كان الفاطميون قد أعدوا العدة لنشر مذهبهم، من خلال العديد من العلماء، لعل أشهرهم القاضي النعمان بن محمد، الذي له تآليف عديدة خدمهم بها ظهرت أثناء وجوده بإفريقية، والتي منها: "كتاب في الإمامة وشرح الأخبار في فضل الأئمة الأطهار والأرجوزة المختارة وكتاب في مناقب آل البيت ومثالب خصومهم وكتاب في البسملة والهمة في آداب إتباع الأئمة وافتتاح الدعوة"[2]، وكل هذه المؤلفات تُبَيِّن المسائل العلمية المطروحة في هذه الفترة بإفريقية من طرفهم.

كما ظهر أن هناك العديد من العلماء، الذين مالوا إلى الشيعة، إما خوفا أو ممالئة أو لغرض آخر، حيث عقد لهم الخشني فصلا في طبقاته وذكر أسماءهم[3]، وقد دافع الكثير من علماء المالكية عن ما رأوه إسلاما صحيحا، ضد ما نشره الفاطميون، وأشهر مظاهر ذلك الدفاع مجالس المناظرة، التي اشتهر بإقامتها سعيد بن الحداد، وقد نقل لنا الخشني في طبقاته أربعة منها[4]، وهي تكشف إلى أي مدى، اشتد أُوَار الصراع بين الفاطميين وخصومهم.

عموما الحياة المذهبية والفكرية، بإفريقية في هذه الفترة من دراستنا، أوسع من أن نحيط بها في هذه العجالة، وهي تستحق العديد من الدراسات، للكشف عن خباياها واستنطاق

---

[1]- حوالة، **الحياة العلمية**، 2/25-26 بتصرُّف يسير.

[2]- النعمان بن محمد، **المجالس والمسايرات**، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط2، 1997م، مقدمة التحقيق، ص 14-17.

[3]- الخشني، **علماء إفريقية**، ص 223-233.

[4]- نفسه، ص 258 وما بعدها.

المصادر المختلفة في ذلك، إذ أن الحالة الدينية وما تبعها من نتائج مختلفة، كان لها عظيم الأثر، في توجيه الأحداث بهذه البقعة من العالم الإسلامي نحو مسار معين، بسبب ما يطبع الشخصية الإفريقية خصوصا والمغاربية عموما، من إتِّباع وتقليد ومحافظة وبشدة، خاصة في هذا المجال.

الفصل الثالث

المفصل في حياة أبي العرب

الفصل الثالث

المفَصَّل في حياة أبي العرب

المبحث الأول: التعريف بأبي العرب

المطلب الأول: اسمه وأصله ونسبه

المطلب الثاني: مولده ونشأته

المطلب الثالث: وفاته

المبحث الثاني: سيرته العلمية

المطلب الأول: تعلُّمه وشيوخه ورحلاته

المطلب الثاني: تلامذته

المطلب الثالث: مؤلفاته

المبحث الثالث: جوانب أخرى في حياة أبي العرب

المطلب الأول: عمله ومصدر رزقه

المطلب الثاني: دفاعه عن ثوابته

المطلب الثالث: شاعريته وثناء العلماء عليه

• **المبحث الأول**: التعريف بأبي العرب

• **المطلب الأول**: اسمه وأصله ونسبه

سنسرد ما قاله كثيرون ممن ترجموا لأبي العرب، حول اسمه وأصله ونسبه ترتيبا، فنبدأ بأقدم من ترجم له وهو الخشني المعاصر له، حيث قال هو "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم"[1] والمالكي قال هو "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام"[2]، وعياض قال إنه "محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي"[3]، والدباغ قال هو "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي المؤرِّخ"[4]، وابن فرحون قال "محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي"[5]، وأخيرا محمد مخلوف يقول معرِّفا به "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي"[6]، والملاحظ هنا أنَّ الدبَّاغ هو أكثر من استوفى ذكر اسمه، حيث أخذ عنه من ذكر مثله، وما ذكرناه هو أقصى ما أفاد به أصحاب المصادر التي عدنا إليها، في اسم أبي العرب وأبيه وجَدَّيْهِ الأوَّل والثاني.

ومما كنت قد وجدته أيضا مضافا لاسم أبي العرب لفظة "التميمي"، وهي نسبة قبلية تعود إلى قبيلة "تميم" العربية، قال ابن حزم الأندلسي: "وهؤلاء بنو تميم بن مر بن أد وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب"[7]،وقال ابن عبد البر القرطبي "وأما تميم فهو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر"[8]، ويضيف الحازمي بعد

---

[1]- الخشني، **علماء إفريقية**، ص 227.

[2]- **رياض النفوس**، 306/2، تر ر: 230.

[3]- **ترتيب المدارك**، 334/3.

[4]- **معالم الإيمان**، 36/3، تر ر: 194.

[5]- **الديباج المذهب**، 155/2، تر ر: 31.

[6]- **شجرة النور الزكية**، 125/1، تر ر: 200.

[7]- الأندلسي ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تح. جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، 207/1.

[8]- القرطبي ابن عبد البر، **الأنباه على قبائل الرواه**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص 55.

مُضَر "بن نزار بن معد بن عدنان"[1]، ويذكر القلقشندي أنَّ "التميم في اللغة هو الشديد"[2]، ويضيف: "بنو تميم من طابخة ومن غزية ومن هذيل"[3] ويذكر تفرُّعاتهم وبطونهم، ومن المعلوم أنَّ أبا العرب ألَّف كتابا في مناقب بني تميم[4]، وهو ما يُثبت نسبته إليهم، كما نجد مضافا إلى اسمه ما ذكره الدباغ بقوله "المؤرِّخ"[5] وهذا لاهتمام أبي العرب بالتأليف التاريخي كما سنشرح الأمر فيما بعد، بأكثر عمقا ودراسة في المبحث الخاص بذلك.

وكما ذكرت المصادر أبا العرب، فقد ذكرت أيضا أجداده وأباه وأمه وإخوته وأبناء عمومته وحتى خدمُ أسرته، فجده الأول كما يذكره عياض هو "تميم بن تمام"[6]، والثاني "تمام بن تميم"[7] الذي كان من أمراء إفريقية، والذي يُكَنيه المالكي[8] وابن عذاري[9] بأبي الجهم، ونقل ابن الأبار عن أبي العرب قوله "هذا هو جدنا هو ابن القادم من المشرق"[10]، ويضيف ابن عذاري أنه كان حاكما لمدينة تونس، من قِبل والي العباسيين على إفريقية محمد بن مقاتل العكي، الذي كان ذا سيرة سيئة تجاه الرعية، فثار عليه تمام جد أبي

---

[1]- الحازمي أبو بكر محمد بن أبي عثمان، **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب**، تح. عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1384هـ/1965م، ص 31. **قلت**: هذا النسب الكامل الذي ذكره الحازمي، ذكر مثله السمعاني لكن أعطى لـ: "مر" اسم "مرة"، انظر: السمعاني أبو سعد عبد الكريم، **الأنساب**، تح. عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، 479/1.

[2]- القلقشندي أبو العباس أحمد، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1411هـ/1991م، ص 188.

[3]- المصدر نفسه، ص 98،188-189.

[4]- سنذكره أثناء الكلام على مؤلَّفاته.

[5]- الدباغ هو الوحيد الذي يضيف هذه الكلمة مقرونة باسم أبي العرب ونسبه، لذا ولما كان الكلام على ما ذَكَرَتْهُ كتب التراجم حول اسم أبي العرب ونسبه، كان هناك داع للتنبيه عليها هنا.

[6]- **ترتيب المدارك**، 334/3.

[7]- نفسه، 334/3.

[8]- **رياض النفوس**، 307/2.

[9]- ابن عذاري، **البيان المغرب**، 90/1.

[10]- القضاعي أبو عبد الله محمد ابن الأبار، **الحلة السيراء**، تح. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، 92/1.

العرب بجنده وأزاحه من ولاية إفريقية لبضعة أشهر تولى خلالها بنفسه مقاليد الأمور بين سنتي 183هـ - 184هـ/799م - 800م، حيث ثار عليه إبراهيم بن الأغلب والي الزاب من قِبَل العباسيين، وتغلَّب عليه وأزاحه من ولاية إفريقية ومن حُكْمِ مدينة تونس، فأصبح إبراهيم بن الأغلب واليا على إفريقية بكتاب من الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد[1].

ويضيف محققا كتاب طبقات أبي العرب أنَّ جده تمام، قُبِض عليه وسُيِّر إلى بغداد حيث توفي في أحد سجونها[2]، ولا شك أن المدة التي قضاها جد أبي العرب "تمام بن تميم" واليا لإفريقية إضافة إلى حكمه مدينة تونس قبلها، أكسبت أسرة أبي العرب مجدا ونفوذا وتميُّزا كبيرا كان له أثره على أفرادها، ولم يشذ أبو العرب عن ذلك في بداية حياته، ثم ما لبث أن تغيَّرت وجهته فيما بعد كما سوف نعرف.

ويذكر أبو العرب والده في طبقاته باسم "أحمد بن تميم"[3]، وقد قال عنه القاضي عياض حين ذكره له بأنه كان من المتعلمين وإنه "سمع من شجرة بن عيسى وسليمان بن عمران وبكر بن حماد"[4].

أما والدة أبي العرب فلم يذكرها سوى المالكي[5] لكن دون أن يسميها، وأضاف أنها وأباه حرصا على أن يكون ابنهما أبو العرب، مثل آبائه وأعمامه أصحاب سلطان ونفوذ، وحول إخوته فقد ذكر أبو العرب أحدهم في كتابه "المحن" ويدعى "محمد"، حيث قال: "وبعث الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب في أخي شقيقي محمد ويُكنى أبا العباس"[6] وبخصوص أعمامه فقد ذكر أبو العرب واحدا منهم في طبقاته ويدعى سليمان بن تميم[7]

---

[1]- ابن عذاري، **البيان**، 1/90-92.

[2]- **طبقات علماء إفريقية وتونس**، مقدمة التحقيق، ص 24، وقد قال بذلك ابن الأبار في **الحلة السيراء**، 1/92.

[3]- ذكره بهذا الاسم خمس مرات في مواضع متفرقة من طبقاته صفحات: 149،163،181،224،225.

[4]- **ترتيب المدارك**، 3/334.

[5]- **رياض النفوس**، 2/307-309.

[6]- أبو العرب، **كتاب المحن**، ص 234.

[7]- أبو العرب، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 215.

ويذكر أيضا أحد أبناء العمومة لأبيه وهو "عُبيد بن تميم"[1]، كما يذكر أحد موالي وخدم أسرته الكبيرة، وهو من يسميه "صَبُرة"[2].

أما عن "عَقِبِ" أبي العرب، فقد ذكر عياض أن له ابنين ذكرهما قائلا: "أبو العباس تمام الذي سكن إفريقية وأبو جعفر تميم سكن الأندلس وروى بها كتب أبيه وغيرها"[3].

ولم تذكر المصادر غير هذين الولدين لأبي العرب، حيث أنَّ أخبارهما، تُبين أن أباهما قد وقف على تربيتهما وتنشئتهما نشأة صالحة، فمما قالته المصادر فيهما:

يترجم عياض لأبي العباس[4]، ويذكر أنه سمع من أبيه، وأدرك صغار رجال سحنون، مثل عيسى بن سليمان، والمغامي، وابن أبي زاهر، وكان يحفظ المسائل ويتكلم فيها، وكان من أهل الورع والاجتهاد والانقباض، قرئ عليه بالقيروان وسمع منه، وتوفي سنة 359هـ/969م.

أما أبو جعفر تميم فقد قال عنه ابن الفرضي[5] إنه ولد سنة 287هـ/900م، قَدِم الأندلس واستوطن قرطبة وحدَّث عن أبيه، وعبد الله بن محمد الرعيني، وأبي الغصن السوسي، وقد سمع منه الناس هناك كثيرا، توفي بقرطبة سنة 369هـ/979م.

هي هذه أسرة أبي العرب، بدأت سياسية عسكرية في أجداده، ثم تحوَّلت إلى علمية دينية على عهد أحمد والد أبي العرب، واستمرت علمية مع أبي العرب وأبنائه، وعمَّت فضائلهم المغرب والأندلس.

---

[1]- المصدر السابق نفسه، ص 225.

[2]- نفسه، ص 225، وذكر فيه ص 233، أنه مولى جده تميم بن تمام.

[3]- **ترتيب المدارك**، 336/3.

[4]- نفسه، 532/4، ويذكره بعضهم باسم "تميم"، كما هو عند الدباغ، أنظر: **المعالم**، 100/3-101.

[5]- **تاريخ علماء الأندلس**، 101/1.

• **المطلب الثاني**: مولده ونشأته

أقدم من تعرَّض لذكر سنة مولد أبي العرب هو القاضي عياض[1]، إذ قال إنها "سنة نيف وخمسين ومائتين"، أي أنه من مواليد الخمسين من القرن الثالث الهجري، إبتداءا من 253هـ/867م حتى 259هـ/872م على أكبر تقدير، ثم سكتت المصادر بعد القاضي عياض كما سكتت قبله عن تاريخ ميلاد أبي العرب، حتى جاء محمد مخلوف[2]، فقال إنها سنة 250هـ/864م، دون أن يُشير إلى مصدره، وقد قال الباحث زاهر بلفقيه[3] إنها سنة 251هـ/865م، ويبدو أنه بنى ذلك على أساس قولة عياض السابقة "نيف وخمسين ومائتين".

رغم كل ما ذكرنا، لا يسعنا إلا أن نقول مع القاضي عياض، إنَّ أبا العرب من مواليد سنة نيف وخمسين ومائتين لا غير، إذ من المعروف أنَّ العرب، لم يكونوا يهتمون بتاريخ الميلاد بقدر اهتمامهم بتاريخ الوفاة، أما عن مكان ميلاده، فنرى أنه من غير المستبعد أنه ولد بمدينة العباسية إحدى ضواحي القيروان والتي تسمى قصر الأغالبة[4] التي تكون نشأته الأولى بها.

فقد عرفنا أن أسرة أبي العرب كانت ذات سلطان وسؤدد، إذ كان جده تمام أحد أمراء إفريقية، كما أن أباه كان متعلِّما، فبين هذا وذاك كان سينشأ عما تعتمده أسرته من نمط حياة عِلْيَةِ القوم، ولكن كان هو عازفا عن ذلك، إذ نجد عند المالكي نصا يرويه على لسان أبي العرب، يذكر فيه طلبه للعلم وملازمته له، وتركه ما كان فيه آباؤه وهو قوله: "أتيت يوما وأنا حدث إلى دار يحيى بن محمد بن السلام[5] فرأيت عنده الطلبة ورأيت أمرا أعجبني وَرَكَنَتْ إليه نفسي فعاودت الموضع وكنت آتي إليه والطرطور على رأسي ونعل أحمر في رجلي

---

[1]- **ترتيب المدارك**، 336/3.

[2]- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، 125/1.

[3]- زاهر بن سالم بلفقيه، **مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني**، ص 51.

[4]- المرجع نفسه، ص 51.

[5]- يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وليس "بن السلام" كما في النص أعلاه، ولد سنة 198هـ/813م، أحد صلحاء إفريقية وفضلاءها وثقاتها وهو سليل أسرة علمية، سمع منه أبو العرب وصحبه سنين طويلة، توفي سنة 280هـ/893م، انظر: أبو العرب، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 111-114.

في زي أبناء السلاطين، وكان الطلبة ينقبضون عني من أجل ذلك الزي فقال لي رجل يوما بجواري لا تتزي بهذا الزي، فليس هو زي طلبة العلم وأهله ورفق بي فرجعت إلى أمي فقلت لها نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس أهل العلم والتجار، فأبت علي من ذلك وقالت إنما تكون مثل آبائك وأعمامك، قال أبو العرب فاحتلت حتى اشتريت ثيابا وجعلتها عند صباغ في باب أبي الربيع، فكنت إذا أتيت من القصر القديم أتيت بذلك الزي الذي تحبه أمي ووالدي، فإذا وصلت إلى باب أبي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الآخر المرفوعة عنده، ومضيت إلى دار يحيى بن محمد بن السلام فإذا انصرفت من عنده ووصلت إلى حانوت الصباغ رفعتها ولبست الثياب التي جئت بها ثم قال لي رجل من أصحابي أراك تلازم هذا المجلس وتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع بيدك يكون عندك، ما هذا حقيقة طلب العلم! فقلت له والداي رغبا عن هذا وعن المعونة عليه وما مكناني من شيء أشتري به الرق فقال لي: أنا أعطيك جلدا تكتبه لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت أكتب لنفسي ما شئت وأكتب له في جلوده ما يحب حتى يسَّر الله عز وجل لي ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم"[1].

فهذا النص، يصور كيف جلس أبو العرب لأول مرة لطلب العلم، بلباس غير زي أهل هذا الشأن، ما يؤكد أن أسرته كانت تعيش في جو الترف، بل ويبلغ بها الأمر إلى منع ابنها من الاستمرار في طريق طلب العلم والجلوس إلى أهله، وهذا رغبة منها في تنشئة ولدها أبي العرب، لتولي بعض المناصب السياسية أو الإدارية، أو حتى لتحافظ على سمعتها التي هي فيها، حيث أن طلب العلم في المجالس يؤدي إلى مخالطة العامة، وهذا ربما لم تكن أسرة أبي العرب ترغب فيه، كما يبين النص الأساليب التي اتخذها أبو العرب، كي يواصل طلب العلم لأنه يراه خيرا له من أي شيء آخر، إلى أن نجح ويسَّر الله عليه مبتغاه ووفَّقه إلى التعلُّم.

وعموما فإن نشأة أبي العرب منذ أن بدأ يميز، كانت نشأة علم وتقوى وورع، وبُعد عن كل صخب الحياة وضوضائها فيما لا طائل من ورائه، وما الثناء عليه الذي نلمسه في كثير من الكتب التي ترجمت له، إلا دليل على ذلك، كما أن كثيرا ممن ترجموا له يذكرون أنه أحد

[1]- **رياض النفوس**، 2/307-308.

أبناء أمراء إفريقية، وقد يوهم هذا القارئ أن أبا العرب سلك مسلك أولئك الأمراء في حياتهم، لكن ليعرف من مرَّ بهذا، أنَّ ذِكْر أولئك الأمراء ما هو إلا للتعريف بنسبه لا أكثر ولا أقل.

• **المطلب الثالث:** وفاته

سبق أن ذكرت، أنَّ أقدم من ترجم لأبي العرب من المؤرِّخين، هو محمد بن الحارث الخشني، في كتابه علماء إفريقية[1]، وهي ترجمة مقتضبة جدا، حيث تقل الاستفادة منها ولم يذكر فيها الخشني تاريخ مولد أو وفاة أبي العرب، وربما يكون الخشني قد ذكر ذلك لكن في أصل كتابه الذي وصلنا مختصرا[2]، ومما يؤكد أن الخشني ذكر تاريخ وفاة أبي العرب، ما نقله عنه عياض في مداركه، إذ جاء فيها عن وفاة أبي العرب "وتوفي فيما قاله ابن حارث يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة"[3]، وقد قال بهذا التاريخ كثيرون مثل المالكي[4] والدباغ[5] وابن فرحون[6] ومحمد مخلوف[7]، إلا أن ابن فرحون، يجعل الوفاة في شهر رجب وليس في ذي القعدة، وشذ بذلك عن المجموع فقال "كانت لسبع بقين من رجب سنة 333هـ/944م"[8]، ومثله شذ أيضا محمد النيفر الذي يذكر أنه "توفي يوم الأحد لثمان بقين من ذي الحجة سنة 333هـ"[9].

وعن مكان وفاته، انفرد محمد محفوظ بقوله، إنَّها "كانت في السجن"[10]، ولعله وَهِمَ فخلط بين الحفيد والجد، فقد مرَّ أن تمام بن تميم توفي في سجن الرشيد، أما عن قبره فذكر الدباغ أنه "دُفن بباب سلم عند قبر شقران"[11]، وهذا بالقيروان.

---

[1]- ص 226-227.

[2]- اختصره الطلمنكي، وانظر حول ذلك، مقدمة تحقيق طبقات أبي العرب، ص 29-30.

[3]- **ترتيب المدارك**، 336/3.

[4]- **رياض النفوس**، 306/2.

[5]- **معالم الإيمان**، 40/3.

[6]- **الديباج المذهب**، 156/2.

[7]- **شجرة النور الزكية**، 125/1.

[8]- **الديباج المذهب**، 156/2.

[9]- محمد النيفر، **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، المطبعة التونسية، تونس، ط1، 1351هـ، 28/1.

[10]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، 361/3.

[11]- **معالم الإيمان**، 40/3.

• **المبحث الثاني**: سيرته العلمية

• **المطلب الأول**: تعلُّمه وشيوخه

من خلال ما سبق عن نشأة أبي العرب، عرفنا كيف كان شغوفا بطلب العلم وكيف كان يجتهد في سبيل ذلك، وهذا لا شك أنه من خلال الجلوس إلى مشايخ العلم في إفريقية وخاصة بمدينة القيروان، وقد تضمنت العديد من مصادر التراجم والطبقات لبلاد إفريقية والمغرب، أخبارا حول شيوخ كُثر لأبي العرب سنتعقبها حيثما وُجدت.

بداية بالخشني، فقد قال عن أبي العرب "سمع من جماعة من شيوخ سحنون"[1] وسحنون هذا الذي يقصده الخشني هو "سحنون بن سعيد التنوخي"، وهذا الأخير حسب ترجمته عند الدباغ[2] ولد سنة 160هـ/776م وتوفي سنة 240هـ/854م، وعليه فقول الخشني السابق، يفيد أن أبا العرب تتلمذ بالسماع من شيوخ سحنون، وهذا غير ممكن إذ يلزم لذلك أن يكون أبو العرب، مولودا في نفس تاريخ مولد سحنون، حتى يتم هذا التتلمذ، ويُشَكُّ أن هناك تحريفا وقع في قول الخشني السابق، ضمن كتابه "علماء إفريقية" حيث ربما يكون مرجع ذلك، إلى أنَّ كتابه لم يصلنا، بل وصلنا مختصرا حسب ما ذكرنا سابقا، والذي أُختُصِرَ معه كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب ومما يدعم عدم صحة ما ذكره الخشني أنَّ أبا العرب لما ترجم لسحنون[3]، لم يذكر ما أشار إليه الخشني، بشأن سماعه من جماعة من شيوخ سحنون بن سعيد التنوخي.

وفي ترجمة القاضي عياض لأبي العرب، نجده يقول: "وسمع أبو العرب من جماعة أصحاب سحنون"[4]، خلافا لما قاله الخشني: "سمع من جماعة من شيوخ سحنون"، وما ذكره عياض هو الصحيح لأنه في ترجمته لأبي اليسر مطر بن بشار ينقل قولا عن أبي العرب فيه ما يُثبت صحة ما قاله بشأن سماعه من أصحاب سحنون وليس شيوخه، وهذا القول هو "قال

---

[1]- **علماء إفريقية**، ص 227.

[2]- **معالم الإيمان**، 2/42-54.

[3]- **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 184-187.

[4]- **ترتيب المدارك**، 3/334.

أبو العرب: سكن تونس وكان فقيها، سمع من مشائخنا أصحاب سحنون رحمهم الله"[1] والملاحظ هنا في هذا الموطن، أنَّ هناك أخبارا كثيرة نقلها كثيرون، عن أبي العرب وعن الخشني من طبقاتَيْهِمَا، لكن لا نجد لها أو بالأحرى لكثير منها، أثرا في المطبوع منهما بين أيدينا، مما يؤدي إلى تأكيد اختصار الكتابين، وتفرَّق الآخذون عنهما بين النقل من الأصل والمختصر، إلى أن غلب الأخذ من المختصر، على الأخذ من الأصل.

وشيوخ أبي العرب كُثُر، حيث كانت إفريقية في عصره تعج بالعلماء، وخير شاهد على ذلك كتابه "طبقات علماء إفريقية وتونس"، وقد ذكر من ترجم لأبي العرب عدد شيوخه فقال القاضي عياض: "وشيوخه تنيف على عشرين ومائة شيخ"[2]، وقال الدباغ: "وبلغت عدة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخا"[3]، وقال ابن فرحون: "وشيوخه نيف وعشرون ومائة شيخ"[4]، وعنه فيما يبدو نقل محمد مخلوف[5]، وكثرة الشيوخ تدل على كثرة ما تعلَّمه أبو العرب منهم في مناطق مختلفة من إفريقية، حيث قال محمد النيفر: "وجال في بلاد إفريقية لطلب العلم فكان من أخذ عنهم نيفا وعشرين ومائة شيخ"[6].

من خلال تصفحنا لكتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب، وجدناه يذكر تتلمذه على بعض المشايخ بشكل مباشر، وذلك من خلال النصوص الآتية:

* في ترجمته لـ: "عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري" قال عنه: "وإنما وجدنا عنه كتابين فقط حدثني بهما عبد الله بن أبي زكريا الحفري عن أبيه عنه وفرات بن محمد حدثني بهما عن عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عنه"[7]، ومن هذا القول يتبين أن من شيوخ أبي العرب:

1- عبد الله بن أبي زكريا الحفري، 2- فرات بن محمد.

---

[1]- المصدر السابق، 353/3.

[2]- نفسه، 334/3-335.

[3]- **معالم**، 36/3.

[4]- **الديباج المذهب**، 155/2.

[5]- **شجرة النور الزكية**، 125/1.

[6]- **عنوان الأريب**، 28/1.

[7]- **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 100.

وقد ورد ذكر تتلمذه على عبد الله بن أبي زكريا الحفري أيضا أثناء ترجمته لـ: خالد بن أبي عمران حيث قال: "كان بتونس خالد بن أبي عمران التجيبي، سمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن سليمان بن يسار وله كتاب عنهم كبير حدثني به عبد الله بن أبي زكريا الحفري"[1].

كما ورد ذكر أبي العرب لشيخه فرات بن محمد أثناء الترجمة لـ: "عبد المؤمن بن مستنير الجزري حيث قال: "سمع من عبد المؤمن فرات بن محمد وغيره من مشائخنا"[2].

* في ترجمته لـ: "عبد الله بن المغيرة الكوفي"، ذكر أبو العرب عنه جريرة حُدِّثَ عنها وكشفها لأحد شيوخه فقال: "ذكرت ذلك لأبي عمر يوسف بن يحي المغامي لما كنا نقرأ عليه الواضحة"[3]، ومن هذا يتبين أن من بين شيوخ أبي العرب:

3- أبي عمرو يوسف بن يحي المغامي.

*كذلك نجد في ترجمة أبي العرب لـ: "أبي الحجاج سكن بن سعيد الصائغ" أنه قال بشأنه: "سألت عنه ميمون بن عمرو وهو ثقة وقد سمعنا منه"[4]، وهذا يعني أن من شيوخه:

4- ميمون بن عمرو.

* في ترجمته لـ: "يحي بن سلام"، ذكر أبو العرب ابنه محمد وذكر حفيده يحي بن محمد وقال عن هذا الأخير: "ويحي ابن محمد الذي سمعنا منه كان ثقة صالحا صحبته سنين طويلة"[5] ويُستفاد من هذا أن من شيوخ أبي العرب:

5- يحي بن محمد بن يحي ابن سلام.

---

[1]- المصدر السابق، ص 212-213.

[2]- نفسه، ص 197.

[3]- نفسه، ص 162.

[4]- نفسه، ص 198.

[5]- نفسه، ص 113.

وقد نقل المالكي عن أبي العرب قوله: "أتيت يوما وأنا حدث إلى دار يحيى بن محمد بن السلام فرأيت عنده الطلبة"[1]، ومن هذا القول نجد أن المالكي، يسميه ابن السلام، حيث ذكر أنه نقل عن أبي العرب، وهذا الأخير يذكر سلام وليس السلام، كما يذكره الدباغ باسم "محمد بن محمد بن يحيى بن سلام"[2]، لكن ثبت عند أبي العرب أنه "يحيى بن محمد" وليس "محمد بن محمد"، ثم إنه يُسْتَفَادُ من كلمة "وأنا حدث" التي أوردها المالكي في عبارته السابقة، أن يحيى بن محمد هذا من الشيوخ الأوائل الذين تلقى عنهم أبو العرب.

نجد أيضا كثيرا من النقول عن أبي العرب، مصرِّحا بسماعه وتعلمه من شيوخ عدة بإفريقية، وهذه النقول هي لكُتَّاب جاؤوا بعده ألَّفوا في السير والتراجم، ولا ندري من أي كتب أبي العرب في التراجم نقل هؤلاء، حيث يُمال إلى أنه تم ذلك من كتابه "طبقات علماء إفريقية وتونس" الذي أسلفنا أنه وصلنا مختصرا، وعلى كل حال فمن أي مصدر كان النقل عن أبي العرب نعتبره مفيدا، المهم أن يشتمل على تصريحه فيه بذلك من نحو "قال أبو العرب"، ومما وجدناه من ذلك: * في ترجمة القاضي عياض لـ: "عمر بن يوسف بن عبدوس بن عيسى"، نقل عن أبي العرب ما نصه: "كان صالحا ثقة ثبتا ضابطا سمع من سحنون [...] وسمعت منه"[3]، ومن هذا القول يتبين أن من شيوخ أبي العرب:

6- عمر بن يوسف بن عبدوس بن عيسى.

* وفي ترجمة عياض أيضا لـ: "أبي البشر محمد بن أحمد بن أحمد بن يونس السوسي"، نقل عن أبي العرب بشأنه قولا وهو: "سمع معنا من أحمد بن يزيد ويحيى بن عمر وأحمد بن معتب وجماعة من مشائخنا وكان حسن الطبع"[4]، ومن خلال هذا القول يتبين أن من شيوخ أبي العرب: 7- أحمد بن معتب، 8- أحمد بن يزيد، 9- يحيى بن عمر.

---

[1]- **رياض النفوس**، 307/2.

[2]- **معالم الإيمان**، 103/2، تر ر: 131.

[3]- **ترتيب المدارك**، 264/3.

[4]- نفسه، 353/3.

* في ترجمة المالكي لـ: "أبي يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان"، والذي يُدعى بالصدفي قال: "وذكر أبو العرب في كتابه الطبقات قال خرج علينا جبلة وعليه قميص وغلالة وسراويل ومنديل على أكتافه وكانت ثيابه قد أكلها الجراد فقوَّم بعض من كان معنا من الطلبة جميع ثيابه التي كانت عليه بثلاثة أرباع درهم يعني فضة خالصة"[1]، ومن خلال هذا القول وما يشتمله من لفظيّ "خرج علينا" وكذا عبارة "بعض من كان معنا من الطلبة"، يعني ذلك وجود أبي العرب وزملاءه الطلبة في مجلس "جبلة"، وعليه نستطيع أن نقول أن من شيوخ أبي العرب:

10- أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان الصدفي.

* في ترجمة الدباغ لـ: "أبي العباس عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي"، نقل عن أبي العرب قولا وهو: "قال أبو العرب: ولا سمعت العلم قط أطيب ولا أحلى منه من غير ابن طالب ولا أخذت منه غلطا إلا مسألة اختلف فيها ابن القاسم وأشهب فأتى بقولهما ولكن قلب قول كل واحد إلى الآخر"[2]، ومن هذا النص يتبين أن من شيوخه:

11- أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي.

ومما نستزيد به في معرفة شيوخ أبي العرب ما ذكره في كتابه "طبقات علماء إفريقية وتونس"، من علماء قال عنهم عبارات مثل: "حدَّثنا" ، "حدَّثني"، وهم:

12- أبو سليمان محمد بن عيشون[3]، 13- أبو عثمان سعيد بن عمر[4]، 14- أبو عياش بن موسى[5]، 15- إبراهيم بن يزيد[6]، 16- أحمد بن حسن[7]، 17- أحمد بن تميم (والد

---

[1]- **رياض النفوس**، 33/2، تر ر: 171.

[2]- **معالم الإيمان**، 85/2، تر ر: 124.

[3]- **الطبقات**، ص 151.

[4]- نفسه، ص 147.

[5]- نفسه، ص 181.

[6]- نفسه، ص 162.

[7]- نفسه، ص 110.

أبو العرب)[1]، 18- أحمد بن حماد المعلم[2]، 19- أحمد بن أبي خلف[3] ، 20- أحمد بن أبي حاتم يحيى بن خالد السهمي[4]، 21- بكر بن حماد[5]، 22- عبد الله بن الوليد[6] 23- عبد الله بن محمد بن قاسم[7]، 24- عبد الله بن خليل[8]، 25- عبد الرحمان بن أبي مروان بن شحمة[9]، 26- عبد الرحمان بن يوسف[10]، 27- محمد بن بسطام الضبي[11] 28- محمد بن عبيد الأندلسي[12]، 29- محمد بن حفص[13]، 30- محمد بن خالد[14] 31- محمد بن بدر بن يحيى الجذامي[15]، 32- محمد بن سليمان بن بسيل[16]، 33- محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي[17]، 34- موسى بن عبد الرحمان[18]، 35- يحيى بن عون الخزاعي[19]، 36- يحيى بن مطرف[20].

---

[1]- المصدر السابق، ص 149.

[2]- نفسه، ص 159.

[3]- نفسه، ص 165.

[4]- نفسه، ص 207.

[5]- نفسه، ص 112.

[6]- نفسه، ص 55.

[7]- نفسه، ص 178.

[8]- نفسه، ص 179.

[9]- نفسه، ص 200.

[10]- نفسه، ص 216.

[11]- نفسه، ص 54.

[12]- نفسه، ص 92.

[13]- نفسه، ص 116.

[14]- نفسه، ص 127.

[15]- نفسه، ص 134.

[16]- نفسه، ص 176.

[17]- نفسه، ص 183.

[18]- نفسه، ص 104.

[19]- نفسه، ص 64.

[20]- نفسه، ص 97.

كما نجد في المصادر التي ترجمت لأبي العرب ذكرا لشيوخه، مثل عياض في ترتيب المدارك، والدباغ في معالم الإيمان، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية، وسنذكر ما أفادونا به، مع الاقتصار على ما انفرد به كل منهم عن الآخر وعن ما سبق وذكرناه.

نجد عياض[1] يذكر من شيوخ أبي العرب: 37- أبو داود العطار، 38- ابن أبي سليمان، 39- أحمد بن عمر، 40- حماس، 41- حبيب بن نصر، 42- سعيد بن إسحاق، 43- سهل القبرياني، 44- عبد الجبار، 45- عيسى بن مسكين، 46- محمد بن مسكين.

والدباغ[2] يذكر من شيوخ أبي العرب باستثناء ما سبق: 47- حمديس القطان 48- سعيد بن محمد بن الحداد، 49- سليمان بن سالم.

ونجد محمد مخلوف يذكر أن أبا العرب سمع من: 50- أبي جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي القيرواني[3]، وأنه كذلك حَدَّث عن: 51- أبي محمد يونس بن محمد الورداني[4] كما ذكر أنه أخذ عن: 52- فضل بن سلمة الجهني البجائي[5].

وممن ذكرهم أبو العرب أيضا من شيوخه في كتابه المحن، قال عنهم: "حَدَّثَنَا" و"حَدَّثَنِي" غير ما سبق ما يلي: 53- أبو السميدع أحمد بن محمد التنوخي[6]، 54- أبو بكر محمد بن محمد بن الفرج البغدادي[7]، 55- أبو بكر يحيى بن حمزة[8]، 56- أبو عمران موسى بن الحسن البغدادي[9]، 57- إبراهيم بن عبد الجبار الدقاق[10]، 58- إبراهيم بن

1- **ترتيب المدارك**، 334/3.

2- **المعالم**، 36/3.

3- **شجرة النور الزكية**، 122/1، تر ر: 188.

4- نفسه، 111/1، تر ر: 145.

5- نفسه، 123/1، تر ر: 192.

6- **كتاب المحن**، ص 59.

7- نفسه، ص 58.

8- نفسه، ص 210.

9- نفسه، ص 215.

10- نفسه، ص 199.

يحي[1]، 59- أحمد بن إسحاق الأشعري[2]، 60- أحمد بن الزبير[3]، 61- أحمد بن داود بن مسكين[4]، 62- أحمد بن زيد[5]، 63- أحمد بن عثمان المتوكل العماني[6] 64- أحمد بن عيسى[7]، 65- أحمد بن محمد بن إسحاق[8]، 66- أحمد بن مغيث[9] 67- الحسن بن علي[10]، 68- بكر بن أحمد بن عبيديس[11]، 69- بكر بن أحمد بن عبيد الفهري[12]، 70- زهير بن عباد الرواسي[13]، 71- سعيد بن سفيان[14]، 72- سعيد بن شعيب الأندلسي[15]، 73- سعيد بن شعبان[16]، 74- عبد الله بن زكريا الجعفري[17] 75- عبد الله بن عبد الغافر الأندلسي[18]، 76- عبد الله بن عبد الملك بن حبيب[19] 77- عبد الرحمان بن عبيد البصري[20]، 78- عبد الرحمان بن محمد الكناني[21]

---

[1]- المصدر السابق، ص 180.

[2]- نفسه، ص 61.

[3]- نفسه، ص 89.

[4]- نفسه، ص 207.

[5]- نفسه، ص 59.

[6]- نفسه، ص 152-153.

[7]- نفسه، ص 171.

[8]- نفسه، ص 227.

[9]- نفسه، ص 97.

[10]- نفسه، ص 101.

[11]- نفسه، ص 74.

[12]- نفسه، ص 140.

[13]- نفسه، ص 96.

[14]- نفسه، ص 124.

[15]- نفسه، ص 119.

[16]- نفسه، ص 127.

[17]- نفسه، ص 55.

[18]- نفسه، ص 96.

[19]- نفسه، ص 248.

[20]- نفسه، ص 60.

[21]- نفسه، ص 184.

79- عبد الملك بن هذيل[1]، 80- عبد العزيز بن شيبة[2]، 81- عثمان بن أبي شيبة[3] 82- عمرو بن ثور الشامي[4]، 83- محمد بن أبي سلمة [5]، 84- محمد بن أبان الحميري[6]، 85- محمد بن أحمد بن إسحاق[7]، 86- محمد بن إسحاق[8]، 87- محمد بن أسامة بن صخر[9]، 88- محمد بن الحسن البغدادي[10]، 89- محمد بن علي بن الحسين البجلي[11]، 90- محمد بن علي الكوفي[12]، 91- محمد بن عمر بن عبد الرحيم البرقي[13] 92- محمد بن عمر بن يوسف الأندلسي[14]، 93- محمد بن عبادة السوسي[15] 94- محمد بن عبد العزيز[16]، 95- محمد بن عبيد الله[17]، 96- محمد بن محمد الطرزي[18]، 97- محمد بن يزيد بن يحي[19]، 98- يحي بن حمود[20]، 99- يحي بن عبد

---

[1]- المصدر السابق، ص 126.

[2]- نفسه، ص 141.

[3]- نفسه، ص 75.

[4]- نفسه، ص 60.

[5]- نفسه، ص 199.

[6]- نفسه، ص 338.

[7]- نفسه، ص 142.

[8]- نفسه، ص 225.

[9]- نفسه، ص 120.

[10]- نفسه، ص 329.

[11]- نفسه، ص 96.

[12]- نفسه، ص 274.

[13]- نفسه، ص 69.

[14]- نفسه، ص 87.

[15]- نفسه، ص 240.

[16]- نفسه، ص 140.

[17]- نفسه، ص 179.

[18]- نفسه، ص 352.

[19]- نفسه، ص 338.

[20]- نفسه، ص 265.

الله[1]، 100- يحي بن عبد العزيز[2]، 101- يحي بن عوف[3]، 102- يوسف بن يحي[4] 103- يونس بن أبي يعقوب العبدي[5].

ومن شيوخ أبي العرب ممن ذكرهم زاهر بن سالم بلفقيه غير ما سبق ما يلي:
104 - بجبج بن خداش أبو سعيد الإفريقي[6]، 105- حمدون بن عبد الله أبو عبد الله المعروف بابن الطبنة[7]، 106- خالد بن نصر أبو نصر[8]، 107- دارم بن مالك بن الطواف أبو نصر التميمي القيرواني[9]، 108- زيدان بن إسماعيل بن زيدان الواسطي الأزدي[10]، 109- سعيد بن حكمون أبو محمد[11]، 110- سعيد بن مسرور مولى القبرياني[12]، 111- سهل بن محمد الوراق الأندلسي[13]، 112- شيبة بن زنون[14] 113- عبد الله بن محمد بن عباد[15]، 114- قاسم بن عمرو بن صاعد[16]، 115- قاسم بن مسعدة[17]، 116- قدامة بن محمد[18]، 117- محفوظ بن حفاظ[19]، 118 - محمد

---

[1]- المصدر السابق، ص 86.
[2]- نفسه، ص 69.
[3]- نفسه، ص 70.
[4]- نفسه، ص 242.
[5]- نفسه، ص 75.
[6]- **مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني**، ص 87.
[7]- نفسه، ص 87.
[8]- نفسه، ص 89.
[9]- نفسه، ص 90.
[10]- نفسه، ص 90.
[11]- نفسه، ص 90.
[12]- نفسه، ص 91.
[13]- نفسه، ص92.
[14]- نفسه، ص 93.
[15]- نفسه، ص 95.
[16]- نفسه، ص 98.
[17]- نفسه، ص 98.
[18]- نفسه، ص 99.
[19]- نفسه، ص 101.

بن برغوث المقري[1]، 119- محمد بن القاسم الصدفي[2]، 120- محمد بن قمود القابسي[3]، 121- محمد بن أبي يوسف[4].

إذن فهؤلاء مائة وواحد وعشرون (121) شيخا لأبي العرب، ولا شك أن هناك آخرين لم نهتد لأسمائهم، وما ذكرناه مما قاله بعض مترجميه من بلوغهم نحو 125 شيخا دليل على ذلك، كما أن أبا العرب ردَّد مرارا ألفاظ "شيوخنا" و "مشائخنا" وهي تدل على كثرتهم كما تجدر الإشارة إلى أنه ربما أن بعض مؤلفات أبي العرب الأخرى المخطوطة أو المطبوعة أو المفقودة تحوي الكثير من أخبارهم وخاصة الحديثية منها، لكن الأمر يحتاج أولا إلى حصولها بين يدي الباحث ثم عليه فحصها كلمة كلمة وسيخرج في النهاية بما يفيده وهو أمر ليس بمستحيل.

وَرُبَّ سائل يسأل بماذا نفسر كثرة شيوخ أبي العرب؟ والجواب هو أن أبا العرب اهتم بالحديث النبوي ورواته بخاصة وبالاشتغال بالفقه بعامة، وهذان العلمان لا يؤخذان إلا بالسند شيخا عن شيخ.

من المؤكد أن صحبة الشيوخ من أهل العلم، لا تكون إلا من أجل الأخذ عنهم والنهل منهم، وهذا ما يبدو أنَّ أبا العرب قد فعله، حيث يكون تلقى بعض المواد المدَرَّسة ببلده حينها، وفي بعض التراجم التي ضَمَّنَهَا كتابه "طبقات علماء إفريقية وتونس"، ما يمكن أن يدلنا على طبيعة بعض ما تعلَّمه أبو العرب، وها نحن نسوق ما عثرنا عليه فيما يلي:

* قال أبو العرب عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري: "وإنما وجدنا عنه كتابين فقط حدثني بهما عبد الله بن أبي زكريا الحفري"[5]، ولم يذكر أبو العرب ما هما الكتابين اللذان

---

[1]- المرجع السابق، ص 101.

[2]- نفسه، ص 105.

[3]- نفسه، ص 105.

[4]- نفسه، ص 106.

[5]- **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ص 100.

وقف عليهما من تأليف ابن زياد هذا، الذي يُؤثر عنه أنه ألَّف كتابا في "فتوح إفريقية"[1] حيث ربما يكون هذا الكتاب أحد ما درس أبو العرب مادته، ما يعني أنه درس المغازي والفتوح وتوسَّع انطلاقا منهما في دراسة الأخبار والتاريخ الذي أجاد فيه، وأصبح رافع لوائه في إفريقية على حد وصف بعضهم له[2].

* وعن أبي يزيد رباح بن يزيد اللخمي يقول: "طلبت حديثه فما وجدت منه إلا كتابا واحدا رواه عبد الله بن زياد بن سمعان حدثني به محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي"[3]، وظاهر هذا الكلام أن أبا العرب درس الحديث الشريف وشغف به وتعلَّق بروايته.

* يذكر أبو العرب أن عبد الله بن أبي زكريا الحفري حدَّثه بكتاب ألَّفه خالد بن أبي عمران الذي قال عنه: "كان بتونس خالد بن أبي عمران التجيبي سمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن سليمان بن يسار وله كتاب عنهم كبير حدَّثني به عبد الله بن أبي زكريا الحفري"، وهذا الكتاب الذي ذكره أبو العرب لم يُبَيِّن اسمه أو موضوعه، والذي يظهر أنه في الأنساب أو قريبا منها، ما يعني أن أبا العرب بتحديثه بهذا الكتاب يكون قد درس الأنساب كعلم منتشر تدريسه في عصره.

* نجد أبا العرب في ترجمته لـ: عبد الله بن المغيرة الكوفي يقول عنه: "... لما كنا نقرأ عليه الواضحة"، والواضحة كتاب من تأليف عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعنوان الكتاب كاملا هو: "الواضحة في السنن والفقه"[4]، ما يعني أن من بين ما درس أبو العرب السنن والفقه، ولا شك أنه فقه مالك بحكم أن الواضحة تنضوي تحت لوائه.

إذن ما ذكرناه من أن أبا العرب، قد تلقَّاه دراسة على بعض الشيوخ، بحسب النصوص السابقة والتي أودعها كتابه الطبقات، نكون قد عرفنا أنه درس التاريخ والأنساب أو السير

---

[1]- علاوة عمارة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص 152.

[2]- **المعالم**، 37/3.

[3]- **طبقات**، ص 120.

[4]- ميكلوش موراني، **دراسات في مصادر الفقه المالكي**، تر. سعيد بحيري وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008م، ص 36-67.

وكذلك السنن أو الحديث الشريف وأيضا الفقه المالكي، كما يمكن أن نضيف لكل ذلك أشعار العرب وأخبارها وبعض ما يكون منتشرا من علوم في عصره مما لم نجد ما يدلنا عليه ولكن حسب وصف بعض المترجمين لأبي العرب ووصفه بـ: العالم والثبت والثقة والمُجَوَّد في تصنيفاته يكون صاحب هذه النعوت قد درس وتعلَّم جيدا حتى بلغ هذه المكانة.

إن ما تركه أبو العرب من التراث المكتوب الذي ألَّفه ووصلنا، فضلا عن المفقود الذي هو أكثره، يدل على هذا التلقي الكثيف من هذا الحشد الكبير من علماء بلده الذي يربو على المائة والعشرين، كما يدل على حب التعلُّم والشغف بإتقان آدائه، ولا يتأتى ذلك إلا بحسن الاستماع، وهو ما يتجلى واضحا عند أبي العرب رحمه الله، حتى بدا لي وكأن دقته وثقته ورزانته وخوفه من أن يقول ما لا يعلم أو ما لم يسمع عن شيخ مباشرة لا يضاهيه فيه الكثير من علماء زمانه، لذلك أثنوا عليه الثناء الحسن كما سوف نرى فيما يلي من هذا البحث.

وحول رحلات أبي العرب، فعلى طول ما بحثنا في كثير من المصادر التي تعرَّضت لذكر أبي العرب، لم نجد فيها ما يدل على أنه قام برحلة خارج بلده إفريقية، إذ كثيرا من طلبة العلم بهذه الأخيرة على حسب ما ورد في تراجمهم في كتب الطبقات، نجدهم قاموا بالرحلة إلى مصر أو مكة أو المدينة المنورة أو الأندلس أو غيرها من حواضر العالم الإسلامي زمن أبي العرب الذي قلنا إنه لم يُشْهَر عنه ذلك، وحتى في زمن سطوة الفاطميين الشيعة بإفريقية ورغم الأذى والملاحقات وغيرها من صنوف التنكيل والعذاب، والتي طالت كثيرين فرحلوا عن إفريقية إلى غيرها[1]، لم يكن ذلك حافزا لأبي العرب كي يفعل مثلهم، ويبدو أن سبب ذلك هو إصراره على البقاء في بلده، والجهاد في سبيل الدفاع عن مبادئه التي آمن بها.

ويذكر النيفر أن أبا العرب: "جال في بلاد إفريقية لطلب العلم"[2]، ونستفيد من قوله هذا، أنه من الممكن أن نَعُد تنقلاته داخل بلده إفريقية ينضوي تحت مسمى الرحلة، حيث استندت في ذلك إلى ما سبق وأن ذكرته من شيوخه، فهؤلاء كان قد جالسهم واستفاد

[1]- مثل رحلة الخشني تلميذ أبي العرب إلى الأندلس وأمثاله كثيرون.

[2]- **عنوان الأريب**، 28/1.

منهم، وفوق كل ذلك استقى منهم معلومات كثيرة استعملها أثناء إعداد كتبه المتعلِّقة بالتراجم، ولا شك أن هؤلاء العلماء والمشايخ لم يكونوا كلهم في مدينة واحدة بإفريقية بل هم متفرقون في مدنها الكثيرة، فعندئذ والحال هذه يكون أبو العرب قد رحل إليهم لِلُقْيَاهُمْ من مدينة إلى أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن أن نتصور رحلات أبي العرب رغم سكوت المصادر عنها، فالرحلة في عُرْف أصحاب مؤلفات التراجم، إنما هي للخارجين عن الإقليم مسقط الرأس، مثلا نحو المشرق والأندلس لآداء فريضة الحج أو لطلب العلم.

• **المطلب الثاني**: تلامذته

لاشك أن أبا العرب أحد أجلاء علماء إفريقية، ولا بد أن يكون له تلامذة أخذوا عنه علمه وسمعوه منه، وسَنَتَبَيَّن أسماءهم من خلال المصادر التي وقفنا عليها وهي:

علماء إفريقية للخشني هو أقدم مصدر وصلنا وترجم لأبي العرب، حيث قال عنه الخشني: "تَغْلِبُ عليه الرواية والجمع ولم أُحْسِنْ عنده علما ولا فقها"[1]، ومن هذا القول فعبارة "ولم أحسن عنده علما ولا فقها" تعني أن الخشني كان من بين الذين تعلَّموا عن أبي العرب وعليه يكون من تلامذة هذا الأخير: 1- محمد بن حارث بن أسد الخشني.

نجد عند عياض في ترتيب المدارك ذِكرا لمن أخذ عن أبي العرب فقال: "سمع منه أبو محمد بن أبي زيد والحسين ابن سعيد وابناه والشذوني والناس"[2]، وعليه فمن هذا القول نجد من تلامذة أبي العرب: 2- أبو محمد بن أبي زيد، 3- الحسين ابن سعيد، 4- الشذوني وابناه وقد ذكرناهما سابقا وهما: 5- أبو العباس تميم، 6- أبو جعفر تميم، وعند عياض أيضا وفي ترجمته لربيع القطان[3]، ذكر أنه سمع من جماعة ضِمْنَهَا أبو العرب، ما يعني أن من بين تلامذة هذا الأخير: 7- ربيع القطان.

وعند الدباغ في معالم الإيمان يقول عن أبي العرب: "أخذ عنه أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن بن زياد والحسن بن سعيد الخراط وأمم لا يحصون"[4]، فمن هذا القول وباستثناء أبي محمد بن أبي زيد والحسن بن سعيد الخراط الذي ذكره عياض باسم الحسين ابن سعيد، يبقى من تلامذة أبي العرب ممن لم يُذكر سابقا: 8- أبو الحسن بن زياد ويذكر الدباغ[5] أيضا، أن من بين من سمعوا من أبي العرب المسمى: 9- أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي.

---

[1]- **علماء إفريقية**، ص 227.

[2]- **ترتيب المدارك**، 335/3.

[3]- نفسه، 324/3.

[4]- **معالم الايمان**، 36/3.

[5]- نفسه، 108/3.

ونجد ابن فرحون في الديباج المذهب يقول عن أبي العرب: "سمع منه محمد بن أبي زيد والحسن بن مسعود وابناه وزياد السروي والناس"[1]، ومن هذا القول وباستثناء ابن أبي زيد وابناه يبقى من تلامذة أبي العرب ممن لم يُذكروا سابقا: 10- الحسن بن مسعود، 11- زياد السروي.

ونجد محمد مخلوف في شجرة النور الزكية يقول عن أبي العرب بشأن من أخذ عنه: "وعنه ابناه تمام وتميم وأبو الحسن الخراط وربيع القطان وابن أبي زيد وزياد السروي وجماعة"[2]، ومن هؤلاء الذين ورد ذكرهم في هذا القول، باستثناء من ذُكر سابقا وهو المسمى: 12- أبو الحسن الخراط، كما يذكر مخلوف أيضا أن من بين من سمع من أبي العرب المسمى[3]: 13- أبو القاسم عبد الرحمان البكري الصقلي.

هذا ما وُفقنا إلى الوصول إليه من أسماء تلامذة أبي العرب، الذين لا شك أنهم كُثُر بدليل قول مترجميه عند التعرُّض لذكر تلامذته، كلمات تدل على ذلك، مثل قول عياض "والناس" وقول الدباغ "وأمم لا يُحصون" وقول مخلوف "وجماعة"، وكلها عبارات تفيد أن أبا العرب جلس لإقراء العلم، قضى حياته يأخذ العلم وينشره لذلك كثر شيوخه وكثر تلامذته وإن لم يصل عدد تلامذته الذين أخذوا عنه مثل عدد الشيوخ الذين أخذ هو عنهم، وبالتالي ربما نستطيع أن نُصَنِّف أبا العرب في العلماء الذين حرصوا على التلقي أكثر من العطاء ولعل عطاءه في التأليف الغزير أحال دون جلوسه طويلا للتلاميذ يعطيهم ويلقنهم.

---

[1]- **الديباج المذهب**، 155/2.

[2]- **شجرة النور الزكية**، 125/1.

[3]- نفسه، 146/1.

- **المطلب الثالث:** مؤلفاته

أبو العرب بالأوصاف الكثيرة التي خُلِعت عليه، من تقوى وزهد وورع وأمانة وعلم وضبط ورواية ودراية، خاصة وهو من تصدى للعلم تدريسا وتأليفا، فهو صاحب الكثير من المصنفات التي ورد ذكرها في كثير من المظان، واعتمدنا منها [كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس، وكتاب علماء إفريقية للخشني، وترتيب المدارك لعياض، ومعالم الإيمان للدباغ والديباج المذهب لابن فرحون، وعنوان الأريب لمحمد النيفر، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، وتراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ، كما تضمنت مقدمة تحقيق طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب لكل من الشابي واليافي، وأيضا مقدمة تحقيق كتابه "المحن" التي عملها الدكتور يحيى وهيب الجبوري][*]، أخبارا عن تآليف أبي العرب والتي نشرع في ذكرها:

1- كتاب عُبَّاد إفريقية:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون والنيفر ومخلوف والشابي واليافي والجبوري وهو مفقود.

2- مسند حديث مالك:

ورد عند عياض هكذا، ومثله ابن فرحون والنيفر ومخلوف، وانفرد الدباغ بتسميته "سند حديث مالك"، وعنه أخذ الشابي واليافي في مقدمة تحقيقهما للطبقات، وكذا الجبوري في مقدمة تحقيقه للمحن.

ويبدو أن كلمة "مسند" أصح من كلمة "سند"، حيث أن هذا الكتاب ربما يكون الذي أشار إليه أبو العرب في طبقاته أثناء الترجمة لـ: يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري حيث قال عنه: "الذي روى عنه مالك بن أنس دخل إفريقية وجالس بها خالد بن أبي عمران التجيبي

---

[*] نظرا لأن الإحالة على هذه المصادر والمراجع، كان سيتكرر أكثر من مرة ودون فائدة، وطلبا للاختصار ارتأيت أن أذكر أن الأخذ من هذه الكتب عدا ما ذكره أبو العرب نفسه أو الخشني في طبقاتيهما، سيكون من الأجزاء والصفحات التالية ليرجع إليها من يريد التأكد: **ترتيب المدارك** لعياض (335/3)، **معالم الإيمان** للدباغ (37/3) **الديباج المذهب** لابن فرحون (155/2)، **عنوان الأريب** لمحمد النيفر (28/1)، **شجرة النور الزكية** لمحمد مخلوف (125/1)، **تراجم المؤلفين التونسيين** لمحمد محفوظ (361/3-362)، والشابي واليافي في **مقدمة تحقيق طبقات أبي العرب** (ص 27-28)، والجبوري **في مقدمة تحقيق كتاب المحن** لأبي العرب (ص31-32).

التونسي وروى عنه وقد ذكرنا حديثه عنه الذي ألَّفناه مما ليس في موطئه"[1]، وعند تأمل هذا النص جيدا نجد فيه ذكرا لمالك بن أنس، وأنه روى عن يحي بن سعيد بن قيس الأنصاري، وأن أبو العرب قد ذكر ما رواه مالك من حديث عن يحي هذا في مؤلف مستقل، وهذا الحديث المروي هو مما ليس في الموطأ المشهور عن الإمام مالك.

وقيام أحد من أهل العلم، بجمع أحاديث رواها شخص معين عن آخر ووضعها في كتاب مستقل، يسمى ذلك في اصطلاح المحدِّثين "مسند" مثل مسند فاطمة الزهراء للسيوطي ومسند أبي بكر الصديق للحافظ المروزي ومسند عمر بن عبد العزيز للباغندي وغيرها كثير.

ومن هذا المنطلق وبحسب ما ورد في النص السابق، فكلمة "مسند" أصح من كلمة "سند" بالنسبة لعنوان الكتاب، ثم أنه ربما يكون عنوان هذا الكتاب كاملا هو "مسند حديث مالك مما ليس في الموطأ"، وكتاب أبي العرب هذا مفقود ولا خبر عليه.

3- ثقات المحدِّثين وضعافهم:

ذكره أبو العرب في طبقاته، وذلك في ترجمة أبي معمر عباد بن عبد الصمد التميمي حيث قال عنه: "وقد ذكرناه في كتابنا الذي ألَّفناه في ثقات المحدِّثين وضعافهم"[2]، ويبدو أنه هو الذي ذكره أبو العرب أيضا في طبقاته، وإنما سماه باسم آخر وذلك في ترجمة الحارث بن نبهان حيث قال عنه: "وقد ذكرنا ما قالوا فيه في كتابنا الذي ألَّفناه في ثقات الرجال وضعافهم"[3]، وقد ذكر هذا الكتاب باسم "ثقات المحدِّثين وضعافهم" الشابي واليافي في مقدمة تحقيق الطبقات، ويبدو أنهما أخذاه من هذا القول السابق، وكذا ذكره الجبوري في مقدمة تحقيق المحن.

وقد ذكر محمد محفوظ، من مؤلفات أبي العرب في مجال ثقة وضعف الرجال أو المحدِّثين (الجرح والتعديل)، كتابين أوَّلهما "كتاب ثقات المحدِّثين" والثاني "كتاب ضعاف المحدِّثين"

---

[1]- ص 93-94.

[2]- ص 94.

[3]- ص 105.

وقال عن هذا الأخير، أن الحافظ ابن حجر العسقلاني، نقل منه مرات في كتابه "لسان الميزان"، وأضاف أنه توجد من كتاب "ضعاف المحدِّثين" قطعة بالمكتبة الوطنية أي في تونس.

ولم نقف على ما ذكره محفوظ، من أن ابن حجر اقتبس من هذا الكتاب في مصنَّفه "لسان الميزان"، وإنما وقفنا للحافظ ابن حجر في كتابه "تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة"، أثناء الكلام على المسمى "كُريم ابن الحارث بن عمرو السهمي" على قول وهو: "ذَكَرَهُ أبو العرب في الضعفاء"[1]، ولا ندري إِنْ كان يقصد كتابا لأبي العرب عنوانه أو موضوعه "الضعفاء"، أم أنه يعني بكلمة "ذَكَرَهُ" السابقة بمعنى "جعله في عداد الضعفاء" ووجد ابن حجر ذلك في كتاب "ثقات المحدِّثين وضعافهم" فنقله عنه.

وحتى ذِكْر محمد محفوظ، لِكُلٍّ من "كتاب ثقات المحدِّثين" و"كتاب ضعاف المحدِّثين"، لا يبدو للمتأمل في ذلك جيدا أنهما كتابان مستقلان، ومِنْ وَضْعِ أبي العرب وبالشكل الذي ذكره، وإنما مردّ ذلك إلى أنه وجد قطعة من "كتاب ضعاف المحدِّثين" كما مرَّ ذِكْره فرأى أنه كتاب مستقل، فأثبته كذلك في مؤلفات أبي العرب.

ويظهر أن كتاب "ثقات المحدِّثين وضعافهم" لأبي العرب كان كتابا واحدا، لكن عَمِدَ إليه بعضهم فجعل الثقات وحدهم والضعاف كذلك، ولم يُبْقِ الزمان على الثقات وبقي جزء من الضعاف والذي ذكره محفوظ، فعُدَّ الأمر على أنه كتاب مستقل، وما يُبين أنه ليس كذلك هو ذِكْرُ أبي العرب للكتاب بعنوان مُجمل وهو "ثقات المحدِّثين وضعافهم وحتى عندما ذكره باسم آخر كما أشرنا سابقا وهو "ثقات الرجال وضعافهم" كان الأمر بشكل مُجمل لا مستقل، ومن هذا يظهر أن "ثقات المحدِّثين وضعافهم" أو بدل "المحدِّثين" "الرجال"، هو العنوان الكامل للكتاب وليس غيره، وهذا الكتاب يوجد جزء منه كما أفاد محمد محفوظ بالمكتبة الوطنية بتونس.

---

[1]– ابن حجر العسقلاني، **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**، تح. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1429هـ/2008م، 157/2، تر ر: 911.

4- طبقات الرجال:

ذكره أبو العرب في طبقات علماء إفريقية وتونس، أثناء الترجمة لـ: عبد الرحمان بن زياد حيث قال: "وقد ذكرنا في كتابنا الذي ألَّفناه في طبقات الرجال حكايات كثيرة عن عبد الرحمان"[1]، وقد سماه كل من الشابي واليافي "كتاب طبقات رجال إفريقية"، ورجَّح الجبوري أنه هو نفسه كتاب الطبقات المطبوع لأبي العرب، وهو وَهَمٌ.

5- في ترجمة سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، قال أبو العرب في طبقاته: "ومناقبه رحمه الله كثيرة وقد ذكرنا ما بلغنا منها في كتابنا الذي ألَّفناه نذكر فيه مناقبه وسيرته في قضائه"[2] ومن هذا القول يتبين أن أبا العرب ألَّف كتابا يخص "سحنون بن سعيد" ويحتوي على ذكر مناقبه وسيرته في قضائه.

ولم يعط أبو العرب عنوانا واضحا لهذا الكتاب، ما حدا بمن عدَّد مؤلفاته من بعده أن يذكره باسم "كتاب فضائل سحنون" كما عند عياض والدباغ وابن فرحون والنيفر وذكره محمد محفوظ باسم "كتاب مناقب سحنون بن سعيد وسيرته وأدبه"[3]، وذكر مخلوف لأبي العرب كتابا بعنوان "كتاب فضائل مالك وسحنون"[4]، فإذا كان يقصد أن أبا العرب قد جمع فضائل مالك وسحنون في كتاب واحد، فقول أبي العرب بشأن سحنون وقد سبق ذكره لا يؤكد ذلك، وإن كان مقصوده الاختصار حيث أنه ربما كان ليقول أثناء سرده مؤلفات أبي العرب "كتاب فضائل مالك" و "كتاب فضائل سحنون" قرَّر دمج العنوانين تحت مسمى واحد كي لا يكرِّر كلمتي "كتاب" و "فضائل" فعندها يتضح مقصوده.

وبعد كل هذا وَعَوْدٌ إلى عنوان الكتاب، من الذي يؤكد أنه تحت عنوان "كتاب فضائل سحنون" ؟ ولماذا لا يكون "كتاب مناقب سحنون" ؟ وهو الأقرب لما ذكره أبو العرب بشأنه، وحتى لو قلنا بأن لأبي العرب "كتاب فضائل مالك"، ومالك أحد فُضلاء الأمة وقد

---

[1]- ص 99.

[2]- ص 185.

[3]- 362/3.

[4]- 125/1.

كان سحنون كذلك، فلا يجب علينا أن نقيس على ذلك، ونقول أن التأليف الذي خص به أبو العرب سحنونا، يحمل نفس العنوان أي "كتاب فضائل سحنون".

وعلى كل حال فما دام أبو العرب لم يُسَمِّ مؤلَّفَه هذا فلا نستطيع نحن أن نسميه سوى أن نذكره ونذكر محتواه كما قد قال هو، خاصة وأن هذا الكتاب متعلِّق بسيرة سحنون في قضائه إضافة إلى مناقبه، إذ ربما يكون عنوانه طويلا على عادة أهل العلم القدماء، فيكون رآه بعضهم فعدَّ الأمر على أنه متعلِّق بفضائل لسحنون، أو أن من ذكره قاس على "كتاب فضائل مالك" المذكور آنفا، فسمى مثله لسحنون وعدَّه في مؤلفات أبي العرب.

6- كتاب مناقب بني تميم:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون والشابي واليافي ومحمد محفوظ، وذكره محقق المحن الدكتور الجبوري بعنوان "كتاب مناقب تميم"، وهو مفقود.

7- جزأين في موت العلماء:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون، وأخذ عنهم محققا الطبقات ومحمد محفوظ والجبوري وهو مفقود.

8- كتاب المحن:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون ومحققا الطبقات ومحمد محفوظ وذكره النيفر بعنوان "كتاب اللحن"، وهو تحريف ظاهر، وهذا الكتاب من مؤلفات أبي العرب التي وصلتنا وقد قام بتحقيقه الدكتور يحي وهيب الجبوري، وصدر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت في طبعة أولى سنة 1402هـ/1982م، ثم صدر مرتين بنفس الدار بعد ذلك.

9- كتاب فضائل مالك:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون ومحققا الطبقات ومحمد محفوظ والجبوري وذكره النيفر بعنوان "فضائل مالك بن أنس"، وذكره مخلوف بعنوان "كتاب فضائل مالك وسحنون" وقد

أشرنا سابقا إلى أسباب ذلك، أثناء الكلام على الكتاب المتعلِّق بسحنون بن سعيد الذي ألَّفه أبو العرب ومرَّ ذكره برقم (5)، وهذا الكتاب مفقود.

10- كتاب الوضوء والطهارة:

ذكره عياض وابن فرحون ومخلوف ومحققا الطبقات ومحفوظ، وذكره بعنوان "كتاب الطهارة والوضوء" الدباغ والذي أخذ عنه الجبوري محقق المحن، وهو مفقود.

11- كتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون ومحفوظ والجبوري، وقد قسَّم محققا الطبقات هذا الكتاب إلى كتابين مستقلين هما "كتاب ذكر الموت وعذاب القبر" و "كتاب الجنائز"، ولم يذكرا لماذا فعلا ذلك، ويبدو أنهما استقيا ذلك من بعض كتب الحديث والفقه التي تفصل بين هذين الأمرين، وهذا الكتاب مفقود.

12- كتاب عوالي حديثه[1]:

ذكره عياض وابن فرحون ومخلوف ومحققا الطبقات والجبوري ومحفوظ، وهو مفقود.

13- كتاب في الصلاة:

ذكره عياض والدباغ وابن فرحون ومحققا الطبقات والجبوري، وذكره مخلوف بعنوان "كتاب الصلاة" وعنه فيما يبدو نقل محفوظ، وهذا الكتاب مفقود.

14- كتاب مناقب العرب:

انفرد بذكره مخلوف وهو مفقود.

[1]- العوالي من العلو ويُقصد به عُلُوُّ اسناد الحديث المراد روايته، وللمزيد حول ذلك، انظر: محمد بن محمد الحاكم الكبير، **عوالي الإمام مالك**، تح. محمد الشاذلي النيفر، دار سحنون، تونس ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م، مقدمة التحقيق، ص 7-12.

15- كتاب طبقات أهل البصرة:

انفرد بذكره محمد محفوظ، حيث قال عنه أنه: "مخزون بالمكتبة الوطنية رقم 151" ويقصد ببلده تونس، فهو بذلك يقول أن الكتاب مخطوط.

16- طبقات علماء إفريقية:

ذكره الخشني[1] وعياض والدباغ وابن فرحون والنيفر ومخلوف والشابي واليافي والجبوري وهو مطبوع بعنوان "طبقات علماء إفريقية وتونس"، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني من العمل لارتباطه به.

هذا ولا شك أن ما ذكرناه من مصنفات أبي العرب لم تكن كلها، وإنما مازال هناك الكثير منها، حيث قال من ترجم له عقب ذكر مصنفاته لفظة "وغير ذلك"، وهذا عند عياض وقال مثله آخرون بعده، ومهما يكن من أمر فربما تُطْلعنا الأيام على بعض المصنفات الأخرى لأبي العرب، لا يزال أمرها مجهولا.

[1]- **علماء إفريقية**، ص 226.

• **المبحث الثالث** : جوانب أخرى في حياة أبي العرب

• **المطلب الأول**: عمله ومصدر رزقه

على كثرة ما ذُكر أبو العرب في كتب التراجم، لم تكن الإشارة إلى ممارسته عملا يسترزق منه ضمن ذلك، وقد مرَّ معنا أنه كان من عائلة ميسورة ذات نفوذ، وهذا ربما هو الذي جعل من يتكلم عنه يعتقد أنه لم يكن في حاجة إلى عمل، ومع ذلك لا نستطيع أن نجزم بصحة هذا، إذ أن أبا العرب كما عرفنا قد عزف منذ صغره عن حياة الترف التي كانت تتبناها عائلته، وجنح إلى حياة الزهد والتقشف، والتي كانت حياة أكثر أهل العلم في وقته وقد كان لأبي العرب نصيب من العلم كبير، لذا مال إلى تلك المعيشة، ولا يكفي هذا إذ أن له ابنين من الذكور ومع أمهم التي هي زوجته يصبح ذا مسؤولية إعالة أسرة فلا بد إذن لمن هذه حاله، أن يكون له مصدر رزق معين ناتج عن عمل معيَّن.

وقد وصف الدباغ أبا العرب بأنه: "كان كثير الإيثار من عسر"[1]، وهذا يعني أنه كان يعيش في عسر من أمره ويكابد المشاق من أجل الحياة، ومع ذلك لا يعطينا هذا الكلام أي دلالة على عمل معين مارسه أبو العرب.

ذكر المالكي أن أبا العرب قال: "كتبت بيدي هذه ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة"[2] ومن هذا القول نجد أن أبا العرب لم يفصح عن أمر هذه الكتب التي خطها بيده، هل هي من تواليفه وحده أم أنه كان يكتب حتى لغيره، وقد فهم كثيرون هذا القول على أنه يدل على غزارة تآليف أبي العرب، لكن لا دليل على ذلك سوى ما ذكره الدباغ من أن الكتب التي قصدها أبو العرب بقوله ذاك، من نحو ما هو مجعول في كتب الفقه والحديث مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة ومِثْلها.

ولم يبق لنا من ترجيح ممارسة أبي العرب لعمل معين، سوى ما يمكن أن نفهمه من قوله السابق الذكر، من أنه اشتغل نسَّاخا للكتب مع الأجرة على ذلك، وليس ذلك عيبا فكثير

---

[1]- **معالم الإيمان**، 36/3.

[2]- **رياض النفوس**، 310/2.

من علماء الإسلام اشتغلوا بالعلم تدريسا وتأليفا، وامتهنوا نسخ الكتب والأمثلة كثيرة وليس هذا مكان بسطها، مع العلم أن أبا العرب، وقد مر بنا أنه بدأ حياته التعليمية ناسخا للعلم يسمعه من شيوخه في نسختين، إحداها له والأخرى لمن يهب له الجلد ورق ذلك الزمان.

إن ما يبعث على الميل للاعتقاد بامتهان أبي العرب نسخ الكتب، هو ما وصفه به غير واحد ممن ترجم له، مثل ما نجده عند الدباغ الذي قال عنه: "كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره دأب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيه من تقدمه من رجال إفريقية وألَّف كتبا مفيدة كثيرة وكان موفقا في التأليف معانا عليه وهو رافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث"[1].

إذن بعد كل هذه الأوصاف التي لاشك أن صاحبها تصدى للعلم قلبا وقالبا، لم يكن ليجد فرصة لممارسة عمل آخر غير ما يدخل تحت ما أُشتُهر عنه وهو العلم فكان نسخ الكتب أقرب لمجاله، ما يمكن أن يكون مصدر رزقه من أجرته، فضلا عن مؤلفاته البديعة في عناوينها ومضامينها، والتي كانت بلا ريب تدر له رزقا عاش به حياته.

وهناك احتمالان آخران يمكن أن يُضافا إلى ما سبق وذكرنا بشأن مصدر رزق أبي العرب وهما:

أولا: ربما كان ولداه يُعينانه على مشاغل الحياة بعدما كبرا، فكان ذلك مما يكفيه مؤونة العمل والكد في طلب المعاش.

ثانيا: ربما تكون هناك ضياع يملكها أبو العرب على شكل إرث كانت تدر عليه من بعض ما تنتجه، والحاصل بعد هذا أنه لا بد وأن يكون لأبي العرب مصدر رزق معين نتيجة لعمل امتهنه، لكن ليس بين أيدينا ما يمكن أن يؤكد لنا ذلك، من هنا رأيت استعمال العقل والتخمين في هذا المطلب.

[1]- **معالم**، 3/36-37.

• **المطلب الثاني**: دفاعه عن ثوابته

عاش أبو العرب في ظل سلطان دولة الفاطميين بالمغرب مدة سبع وثلاثين سنة (37) من لدن قيامها سنة 296هـ/909م إلى وفاته هو سنة 333هـ/944م، وقد طرأ على إفريقية كثير من التغيير الذي فرضه الفاطميون الشيعة بالقوة خاصة في الجانب المذهبي[1]، إذ سعوا وبكل ما أوتوا من تمكُّن من محاربة المذاهب الأخرى خاصة السنة المالكيين وهم غالبية أهل إفريقية الأمر الذي أثار حفيظة أهل العلم الغيورين، حيث كان صاحبنا أبو العرب واحدا منهم، ولما كان الكلام هنا عما بذله هو من جهد في دفاعه عن عقيدته السُنِّية ومذهبه المالكي اللذين هما من ثوابته، كان لزاما أن نتبين وجه ذلك من خلال ما كُتِبَ عنه في هذا الشأن.

عرفنا أن من بين المناهضين لبني عبيد الفاطميين بإفريقية، أبا يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الذي تقدم ذكره، وكانت ثورته على الفاطميين، نتيجة لظلمهم للمغاربة كثيرا، وقد اشتهر أمر هذا الرجل حتى هدَّد الفاطميين في عقر دارهم وفي عاصمتهم المهدية، ولما كان أهل إفريقية ممن طالهم ظلم الفاطميين قرَّروا نصرة أبي يزيد هذا، حيث يذكر المالكي أن أمر هذه النصرة تم بعد اجتماع بعض من أعيان فقهاء إفريقية، وذكر منهم أبا العرب وأبا الفضل الممسي وأبا سليمان ربيع بن سليمان القطان وأبا عبد الملك مروان وأبا إسحاق السبائي وغيرهم، ويضيف المالكي أنه في خضم التناظر فيما بينهم أثناء الاجتماع طلب منهم أبو العرب السكوت وقال حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله بن سنجر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار"[2]، فعندها كبَّر الناس وخرجوا لحصار الفاطميين بالمهدية، ومثل ذلك قال الدباغ الذي أضاف حول استجابة الناس لنداء أبي العرب بقوله: "وهذا يدلك على

---

[1]- يُراجع الفصل الثاني، المبحث الأول منه.

[2]- **رياض النفوس**، 2/309-310، وقال الأستاذ بشير البكوش محقق رياض النفوس للمالكي، أنه لم يعثر على نص هذا الحديث في كتب الحديث المعتمدة، وإنما وجد ما يشبهه وقريبا منه حديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده وهو: قال علي بن أبي طالب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يظهر في آخر الزمان قوم يُسمون الرافضة يرفضون الإسلام"، 2/309، إحالة رقم: 45 في الهامش.

كمال عدالته وصحة نقله ولولا ذلك ما اتفقوا بعد الاختلاف على الخروج على من ذُكِرَ ولم يتخلَّف من الفقهاء والصلحاء أحد"[1].

ويذكر القاضي عياض[2] والمالكي[3] أن أبا العرب وفي أثناء المعركة الحامية الوطيس مع الفاطميين، سمع الناس عليه كتاب الإمامة لعلاَّمة إفريقية محمد بن سحنون، ومن الممكن أن هذا الكتاب، يعرض آراء المذهب السني في الإمامة وأصول الحكم ليعارض به آراء الفاطميين المتطرفة، مما يجعل إسماعه للناس من قبل أبي العرب نوعا من استنهاض هممهم كي يتخلَّصوا من سلطان الفاطميين ويؤسسوا لسلطان يلائمهم، مما يُعد في الأخير شكلا من أشكال الدفاع عن المذهب والعقيدة السُنِّيين، وهذا يفسر أيضا رجاحة عقل أبي العرب ووعيه بقضايا عصره، وأن له رؤية متكاملة فيما يُطرح من أمور حينها، وهذا كله جعل أبا العرب متميِّزا في آداء هذه المهام وإدارتها بشكل محكم.

وقد أُمتُحن أبو العرب بسبب ذلك فقال عياض: "ودارت عليه محنة من الشيعي حبسه وقيده مرة بسبب بني الأغلب والتهمة في السلطان"[4]، وهذا يمثل أيضا مدى استماتة أبي العرب في الدفاع عن عقيدته ومذهبه، وإن إكثار أبي العرب من تأليف الكتب وإقرائها للناس وخاصة في الحديث وفقه مالك ورأي أهل السنة يُعد من أشكال محاربته المد الشيعي الفاطمي بشكل أو بآخر، إذ يعكس ذلك حرصه الشديد وتفانيه في الغيرة على مذهب أهل السنة والتمكين له ببلاد المغرب، وبقي أبو العرب كذلك حتى وافاه أجله.

---

[1]- **معالم الإيمان**، 39/3.

[2]- **ترتيب المدارك**، 335/3.

[3]- **رياض**، 309/2-310.

[4]- **ترتيب**، 335/3.

• **المطلب الثالث:** شاعريته وثناء العلماء عليه

إضافة إلى ما ذكرناه حول أبي العرب من تعدد علومه ومعارفه، فهناك جانب آخر من جوانب شخصيته وثمرة من ثمار تحصيله المعرفي، ألا وهو كونه شاعرا حيث ذكر ذلك عياض[1] والدباغ[2]، وأيضا قال عنه المالكي: "وكان رحمه الله تعالى يصنع الشعر ويجيده"[3] وقال ابن فرحون "وكان أبو العرب شاعرا مُجيدا"[4]، وقال مثله محمد النيفر[5].

ورغم هذا كله إلا أننا نجد الدكتور الجبوري في مقدمة تحقيقه لكتاب المحن لأبي العرب يقول بما نصه: "وكذلك قيل إن أبا العرب شاعر"[6]، مما يوحي بأنه يشك في كون أبي العرب نظم الشعر، أو أنه يقصد بساطة شعر أبي العرب وهو ما نلمسه في قوله بعد العبارة السابقة: "ونُقِلت عنه بعض الأبيات والقطع التي هي مجرد نظم مما يعرف بشعر العلماء"[7]، وكأنه يوحي بأن هذا الشعر دون مستوى نظم فحول الشعراء.

ومما يؤيد هذا الأمر الأخير، ما قاله محققا طبقات أبي العرب حول ذلك وهو: "أما شعره الذي أُثِرَ عنه فلا يعدو أن يكون انعكاسا لمفهوم الشعر الذي لم يتجاوز حدود النظم والذي عرفته إفريقية في ذلك العصر"[8]، ورغم أن قول الجبوري ومحققي الطبقات يتعارض مع ما ذكره المالكي من صناعة أبي العرب للشعر وإجادته إياه إلا أنه ربما تكون هذه الإجادة التي قصدها المالكي في المعنى وليس في قواعد النظم، ولكن ورغم ذلك نستطيع أن نسلِّم للمالكي بما قاله، باعتبار المقدرة العلمية الفائقة التي تمتع بها أبو العرب، والتي هي قادرة على ما يبدو على أن يكون إنتاجه الشعري كذلك.

---

[1]- **ترتيب**، 336/3.

[2]- **معالم**، 37/3.

[3]- **رياض**، 310/2.

[4]- **الديباج**، 156/2.

[5]- **عنوان**، 28/1.

[6]- ص 30

[7]- ص 30.

[8]- ص 27.

فالمالكي وهو الفقيه قَيَّم الشعر بإنتاج زمانه من هذه الصناعة، أما الذين جاؤوا بعد ذلك فربما رأوا إلى شعر أبي العرب في غير إطاره الزماني والمكاني.

وبالنسبة لكثرة أشعاره من قلتها فقول محققي كتابه الطبقات وهو: "تناقل له المؤرِّخون هذه الأبيات" ثم ذكراها، وقول الجبوري السابق وهو: "ونُقِلَت عنه بعض الأبيات والقطع" فالأبيات القليلة التي ذكرها محققا الطبقات وقول الجبوري كلمة "بعض" ضمن عبارته السالفة يُوحيان بأن أشعاره قليلة ولكن نجد المالكي قال "وله أشعار كثيرة يندب فيها نفسه"[1]، ثم ذكر بعضها، فهذا قول المالكي حتى وإن ذكر أن هذه الأشعار الكثيرة هي فيما يخص ندب نفسه إلا أن كلمة "كثيرة" تغطي على ذلك وتؤدي للقول بكثرة صناعة أبي العرب للشعر وربما يكون مرد ما قال به كل من المحققيْن والجبوري هو إلى ما وجداه أمامهما من أشعار قليلة فأطلقا تلك العبارات.

ومهما يكن من أمر فمما يُثبِتُ قول أبي العرب الشعر هو ما ذكره عياض بقوله: "أنشد له ابنه تميم"[2] ثم ذكر ما أنشد، وإليك ما وجدنا من أشعاره ومناسبات قولها:

إذا ولى[3] الصديق لغير[4] عذر ... فزاد الله خلته انقطاعا
إلى يوم التناد[5] بلا رجوع ... فإن[6] رام الرجوع فلا استطاعا
إذا ولى أخوك قفاه[7] عنك[8] ... فول قفاك عنه وزده باعا
ونادِ وراءه يا رب تمم ... ولا تجعل لفرقته اجتماعا

---

[1]- **رياض**، 311/2.

[2]- **ترتيب**، 336/3.

[3]- في **الرياض**، "انقطع"، وكذا في **المعالم**.

[4]- في **المعالم**، "بغير"، وكذا في **الديباج** و**عنوان الأريب**، ومقدمة تحقيق **المحن**.

[5]- في **المعالم**، "التنادي"، وكذا مقدمة تحقيق **الطبقات**.

[6]- في **المعالم**، "وإن"، و كذا في مقدمة تحقيق **المحن**.

[7]- في **المعالم**، "فَوَلِّ"، ومقدمة تحقيق **الطبقات**، وكذا **المحن**.

[8]- في **المعالم**، "عنه"، ومقدمة تحقيق **الطبقات**، وكذا **المحن**، وعجز هذا البيت ورد في المعالم ومقدمة تحقيق **الطبقات** و**المحن** "وزده وراء ما ولاك باعا".

وقد قال العلاَّمة محمد النيفر بأن هذه الأبيات موضوعها حول انحراف الصديق، كما ذكر عياض لأبي العرب بيتين جعلهما النيفر حول شيخوخة أبي العرب وتأمل ووصف نفسه عند الكبر وهما:

ضعفت حيلتي وقل اصطباري وإلى الله أشتكي كل ما بي
وهن العظم بعد أن كان صلبا وفقدت الشباب أي شباب

وذكر المالكي زيادة على السابق من البيتين وإكمالا لهما:

ولقد كنت والشباب لباسي أسحب الذيل عابثا في الثياب
وتراني أميس كالغصن حسنا وقذالي كمثل ريش الغراب
وترى الغانيات نحوي صورا يتراءين مرجعي وذهابي
ولقد كن يشتهين حديثي فأدعهن خشية للعقاب

وأضاف المالكي كما أشرنا سابقا إلى أن لأبي العرب أشعار كثيرة يندب فيها نفسه يقول في بعضها:

أإن سجعت أيكية بتغرُّد بكيت بدمع واكف متردد
وهاجت بي الأحزان حين تجاوبت حمائم ورق فاستلبن تجلُّدي
حمام بكى من غير دمع جرى له فهاج البكا من حائل الدمع مسعدي
فما تنسني الأيام لم أنس حبتي ومجلسنا والشمل لم يتبدد
ولما رأيت الشيب عمم مفرقي ففكرت فعل الخائف المتزهد
وأقصرت عن ذكر الصبى وهجرته وصرت فريدا لا أبالك أوحد

هنا وفي هذا المطلب لم يكن غرضنا دراسة أشعار أبي العرب دراسة فاحصة، بقدرما كان يهمنا جمع بعض أشعاره والتي من خلالها تتبين إجادة أبي العرب لصناعة الشعر، من عدمه

حيث لم تكن أشعاره مبتذلة ولا ركيكة كما قد أوحى به كلام بعض من ترجم له ومهما يكن من أمر فَلِتَضَلُّع أبي العرب في عدد من العلوم، يؤدي به حتما إلى إجادة كل أقواله سواء كان ذلك نثرا أو شعرا، ودراسة مؤلفاته التي وصلت إلينا بشكل متأن يُجْلِي غامض ذلك مستقبلا.

وحول الثناء على أبي العرب، فمن خلال اطلاعنا على الكثير ممن ترجم لأبي العرب وقد سبق ذلك، نجدهم تكلَّموا عن أوصافه التي تميَّز بها كواحد من جِلَّة ما أنجبت إفريقية حتى لقد قال المالكي بشأنه: "وكانت أوصافه أوسع من أن يحملها كتاب"[1]، وهذا يدل على كثرة ما يُحمد عليه هذا الرجل، حيث نجد تفصيل ذلك في أقوال عياض والدباغ وهما يُعتبران المصدر الأساسي لكل من أتى بعدهما وتكلَّم عن هذا الجانب من حياة أبي العرب.

نبدأ بما ذكره عياض حيث قال: "كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن والرجال من أبصر أهل وقته بها كثير الكتب حسن التقييد كريم النفس والخلق، كتب بخطه كثيرا في الحديث والفقه"[2]، إلى أن قال: "وكان حافظا للمذهب معتنيا به وغلب عليه الحديث والرجال وتصنيف الكتب والرواية والإسماع"[3]، أما الدباغ فقال: "كان فقيها صالحا متواضعا كثير الإيثار من عسر ثقة ثبتا صحيح التقييد ضابط الرواية كثير التآليف والمشايخ"[4]، وقال أيضا: "كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره دأب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيه من تقدَّمه من رجال إفريقية وألَّف كتبا مفيدة وكان موفقا في التأليف معانا عليه وهو رافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدُّمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث"[5].

إذن يكاد يشترك كل من عياض والدباغ في هذه الأقوال بشأن أبي العرب، على أن الملاحظ لها جيدا يتبين له أنها تدور حول أخلاق أبي العرب ومدى علمه، فمن الأولى نجد الصلاح والثقة وكرم النفس وأدبها الجم وكذلك التواضع والإيثار أو بالأصح الجود، وهذا ليس

---

[1]- **رياض**، 2/306-307.

[2]- **ترتيب**، 3/334.

[3]- نفسه، 3/335.

[4]- **معالم**، 3/36.

[5]- نفسه، 3/36-37.

بمستغرب فقد مرَّ بنا في أثناء الكلام على نشأته، كيف كان كل ذلك حتى اصطبغ بنفسه عند الكبر ونتج عنه ما وُصِفَ به آنفا، ولا شك أن تعاليم الإسلام السمحة والتنشئة عليها بشكل صحيح، له عظيم الأثر على سلوك أي مسلم وقد كان لأبي العرب ذلك.

أما فيما يخص الثانية وهي علمه فنجد أنه عالم بالسنن والرجال كثير التأليف للكتب ويُجيد تقييد العلم، الذي كان أكثره في كل من الفقه والحديث، وطبعا فقه الإمام مالك المنتشر في ربوع إفريقية حينها، فقد كان من أكبر المعتنين بمذهبه كما كان له السبق والباع الكبيرين في علم التاريخ بإفريقية، وأكبر شاهد على ذلك مؤلفاته المتنوعة، والتي منها التاريخية الصرفة ومنها كذلك المتداخلة بين التاريخ وعلم الحديث من ناحية معرفة رواته من الرجال والجرح والتعديل المتعلق بهم، وأيضا السير والتراجم والمناقب[1].

ولا شك أن محبة أبي العرب لطلب العلم وبراعته جعلته المتفوق في ذلك على غيره من أقرانه، الأمر الذي أدى به إلى أن يكون متميِّزا في عصره، سواء في كثرة مشايخه أو في توفيق الله وإعانته له في تأليف الكتب مع الثبات والضبط الكبيرين.

ومع كل ما ذكرنا من ثناء على أبي العرب، إلا أننا نجد نوعا من الازدراء له من قِبَلِ تلميذه الخشني، حيث قال عنه أثناء ترجمته له ما نصه: "تغلب عليه الرواية والجمع ولم أحسن عنده علما ولا فقها"[2]، وقد قال محمد محفوظ معلِّقا على ذلك "أما غلبة الرواية والجمع فقد مَرَّ ما يؤيده، أما تجريده من العلم والفقه فقد مر ما يناقضه، ولا ندري ما هو الباعث للخشني على التحامل على شيخه، ومن ترك مؤلفات متعدِّدة لا يوصف بأنه غير عالم ولا فقيه"[3]، وربما يكون قول الخشني الآنف يقصد به نفسه، أي ربما أراد أن يقول بأنه لم يستطع أن يُحسِن الاستفادة من علوم شيخه أبي العرب، لا أن يكون العيب في هذا الأخير ونحسن الظن بالعالمين، إلا أننا نعلم في التاريخ أمثال هذا الازدراء بين المتعاصرين ومن أوضح الأمثلة ما كان بين السيوطي والسخاوي من شنآن.

---

[1]- أنظر ما سبق وذكرناه من مؤلفاته.

[2]- **علماء إفريقية**، ص 227.

[3]- **تراجم المؤلفين التونسيين**، 360/3.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لكتاب طبقات علماء إفريقية وتونس

الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لكتاب طبقات علماء إفريقية وتونس

المبحث الأول: التعريف بالكتاب

المطلب الأول: الأصول الخطية للكتاب

المطلب الثاني: تحقيق الكتاب

المطلب الثالث: عنوان الكتاب

المبحث الثاني: موارد أبي العرب في كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس

المطلب الأول: الموارد الصريحة

أولا: أشخاص نقل عنهم

ثانيا: كتب طالعها واستفاد منها

ثالثا: حضوره الشخصي واستقصاؤه أحوال المترجم لهم

المطلب الثاني: الموارد المجهولة

المطلب الثالث: توظيف أبي العرب لموارده في كتابه

المبحث الثالث: تقسيم الكتاب

المطلب الأول: أبو العرب والتراجم الواردة في كتابه

المطلب الثاني: ملاحظات حول التراجم

أولا: الطول والقصر

ثانيا: الاستطراد والخروج عن حدود الترجمة

ثالثا: صياغة معلومات الترجمة

• **المبحث الأول**: التعريف بالكتاب

• **المطلب الأول**: الأصول الخطية للكتاب

لاشك أن كثيرا من كتب علماء الإسلام القدماء موجودة اليوم، وذلك بعد اتخاذ كثير من الدول إجراءات المحافظة عليها في شكلها المخطوط، والتي هي من الكنوز المعرفية القيِّمة وتزخر منطقة المغرب الإسلامي، بكثير من مآثر علماءها الذين كان لهم باع طويل في بناء صرح الحضارة ببلدانهم، فكان من آثارهم العلمية كتب التراجم أو ما عُرِفَ بالطبقات، وفي هذا المقام سأتكلم عن واحد من هاته المصنفات ألا وهو كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس"، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني(ت 333هـ/944م)، والذي تكلمنا عنه في الفصل السابق.

في هذا المبحث، كلامنا على الأصول الخطية لهذا الكتاب، الذي كان أول من نشره الباحث الجزائري محمد بن أبي شنب[1] سنة 1914م، وأُعِيد نشر هذه الطبعة في بيروت كما أعاد ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، نشر الطبعة الأولى للكتاب بإشراف جعفر بن شنب[2] سنة 2006م، وعلى أساس الطبعة الأولى التي أخرجها محمد بن أبي شنب، صدر كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب بتقديم وتحقيق كل من علي الشابي ونعيم حسن اليافي، بتونس سنة 1968م[3].

---

[1]- **محمد بن أبي شنب**: واحد من علماء الجزائر، كان مولده سنة 1286هـ/1869م بولاية المدية حاليا، تدرَّج في التعلُّم وحصل على عدة شهادات وأوسمة، عمل أستاذا بكلية الآداب بجامعة الجزائر، له مؤلفات عديدة وتحقيقات مفيدة على كتب التراث منها: تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، تحقيق كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني، توفي سنة 1348هـ/1929م، وللاستزادة حوله، راجع: محمد زرمان، **محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية**، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ط1، 2007م، ص 26-30.

[2]- في التقديم الذي جعله للكتاب بالفرنسية ذكر أن أول نشرة له كانت سنة 1915م، وهذا خلاف ما هو مثبت على صفحة العنوان، الذي فيه سنة 1914م وليس غيرها، وللإشارة نشر ابن أبي شنب الطبقات بالعربية والفرنسية.

[3]- الدار التونسية للنشر، تونس.

وحول الأصول الخطية لهذا الكتاب، قال الشابي واليافي: "ولما عزمنا على نشر الكتاب لأهميته بحثنا عن مخطوطات له في أكثر مكتبات العالم فلم نعثر على أية مخطوطات والذي يبدو أن المخطوطة التي نشر عنها ابن أبي شنب النص وقعت في يد لم نوفق إلى الوصول إليها لذا كان اعتمادنا على النسخة المطبوعة"[1].

وفي نشرة ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر للكتاب بإشراف جعفر بن شنب، نجد تقريرا باللغة الفرنسية للباحث الفرنسي ألفرد بل[2] حول هذا الكتاب، ومما جاء فيه حول الأصل المخطوط للكتاب بأنه "وجده محمد بن أبي شنب، في مكتبة خاصة بالمدية سنة 1905م، وأنه نسخة فريدة وأنها ليست مؤرخة وأنها ناقصة من 6 إلى 8 ورقات في آخرها وأنها كانت في ملك أحمد الطلمنكي، وهذا الأخير كنا قد أشرنا إليه سابقا[3].

كما أضاف أن محمد بن أبي شنب، كتب حول المخطوط دراسة، في المجلة الأسيوية بتاريخ 7 أكتوبر 1906م شغلت الصفحات من 343 إلى 360، وأنه نشر بالترتيب الآتي كلا من طبقات علماء إفريقية لأبي العرب، وطبقات علماء إفريقية للخشني، وطبقات علماء تونس لأبي العرب مع بعضها، على شكل ثلاثة نصوص وأعطى إفادات حولها.

واستنباطا من كلام ألفرد بل، ربما يكون رأى بنفسه الأصل المخطوط الذي كان عند محمد بن أبي شنب، أو أطلعه هذا الأخير على خصائصه أثناء لقاء جمعهما، أو أنه أفاد حوله مما قرأه في المجلة المذكورة.

وبما أن محمد بن أبي شنب، نشر النصوص الثلاثة مع بعضها كما عرفنا، فلا نستبعد أن الأصل المخطوط الذي حصل بين يديه، كان مُسَوَّدَةً ولم يُبَيَّضْ من قِبَلِ من تصدى

---

[1]- مقدمة التحقيق، ص 29.

[2]- **ألفرد ماري أوكتاف بل**: من الباحثين الفرنسيين الكبار، ولد سنة 1873م بفرنسا، عاش بعضا من حياته بالجزائر والمغرب الأقصى، توفي سنة 1945م، له كثير من الآثار العلمية تأليفا وتحقيقا وترجمة، منها: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح الإسلامي حتى اليوم، وأيضا بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين دراسة تاريخية وأثرية، انظر حوله: المقدمة التي وضعها محمد حمداوي أثناء ترجمته لكتابه الأخير (**بني سنوس**)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001م، ص 19-41.

[3]- ص 58، إحالة رقم: 2.

للجمع بين طبقات أبي العرب وتلميذه الخشني، فبقي الأمر كذلك حتى نُشِرَ كما هو ومهما يكن من أمر فهذا، أقصى ما توصلنا له حول الأصل المخطوط لكتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب.

• **المطلب الثاني**: تحقيق الكتاب

عرفت أن أول من أخرج طبقات أبي العرب إلى عالم المطبوعات، هو العلامة محمد بن أبي شنب الجزائري، حيث ظل الكتاب متداولا كما أخرجه، طيلة 54سنة، أي من سنة صدوره الأول عام 1914م، إلى أن أعاد كل من الدكتورين الشابي واليافي نشره وطبعه عام 1968م بتونس.

إن إعادة نشر الكتاب تطرح كم من تساؤل، حول نشرة ابن أبي شنب، وفي المقدمة التي عملها كل من الشابي واليافي عند نشرهما نص الطبقات، سجلا عدة مآخذ على عمل ابن أبي شنب حيث قالا: "نشره كما هو دون تحقيق يُذْكر فلم يصوِّب النص حين يجب التصويب ولا وقف عند سلاسل النص التي يزخر بها الكتاب وأكثر من هذا فإنه أثبت أقوال الخشني في صلب النص ليزيد من تفككه واضطرابه وفي سنة 1920 ترجم الناشر نفسه هذا الكتاب إلى الفرنسية وقد استفدنا من هذه الترجمة فترجم لأبي العرب واهتم ببعض رجال السند فوقف عندهم دون أن يولي النص أي عناية"[1].

نحاول مناقشة أحكامهما هذه كي نخرج بتصوُّر حول نشرة ابن أبي شنب، وإعادة نشر الكتاب من طرفهما فنقول:

– بالنسبة لقولهما: "نشره كما هو دون تحقيق يُذكر"، فالصواب في هذا مع ابن أبي شنب وليس معهما، لأنه في العمل في ميدان تحقيق المخطوطات، لا تقال كلمة تحقيق إلا إن توافرت عدة نسخ للكتاب المراد تحقيقه، ودون ذلك يقال نشر وليس تحقيق، وحتى إطلاق كلمة تحقيق على عملهما ليس صحيحا، ثم إن ابن أبي شنب ربما كان بين يديه نسخة واحدة للكتاب، وَعَدِمَ نظير لها فقام بنشرها لتعجيل الاستفادة منها.

– قضية عدم الترتيب في نشر النص، يُعذر فيها ابن أبي شنب، وذلك لقولهما عن الطلمنكي الذي اختصر الكتاب، وأشرنا إليه سابقا مايلي: "أهدى الطلمنكي مختصره هذا إلى الخشني[2] تلميذ أبي العرب وقد أضاف الخشني الكثير من أقواله وهي أقوال أثبتها ابن أبي

[1]– مقدمة التحقيق ص 28–29 .

[2]– مقدمة التحقيق ص 30.

شنب في صلب الكتاب ورأينا نحن أن ننقلها من النص إلى الهامش"، فمن هذا الكلام يتبين، أن عدم الترتيب هو في الأصل المخطوط، وليس في عمل ابن أبي شنب الذي نظن أن أقصى ما فعله، هو محاولة إعادة ترتيب الكتاب، وتمييز عمل أبي العرب عن عمل الخشني كما هو ظاهر في نشرته.

– قول الشابي واليافي، حول نقلهما بعض ما احتواه النص المنشور من المتن إلى الهامش ربما هو الذي زاد من تفكك النص إذ من المفروض في أعمال النشر والتحقيق، نشر النص كما هو وليس التبديل أو التغيير فيه مهما كانت الأسباب.

– نضيف أيضا أن قولهما بأنه "أهدى الطلمنكي مختصره هذا إلى الخشني"، لا تؤكده نشرة ابن أبي شنب، إذ فيها أن اسم الطلمنكي المُخْتَصِر لطبقات أبي العرب، هو أيضا مُدْرج تحت عنوان كتاب طبقات الخشني، بل نذهب بعيدا إلى أنه من الممكن أن الخشني لا دخل له فيما لحق بأصل طبقات أبي العرب، إلا أنَّ تشابه عمله من حيث العنوان والمضمون بعمل أبي العرب، جعل من قام بنسخهما بعدهما يظن أنه من المفيد مزجهما خاصة وأن الخشني تلميذ لأبي العرب، فَيُظَنُّ حينها أن عمله تذييل على كتاب شيخه خاصة فيما أَخَلَّ بذكره أبو العرب وما نتج من اختصار الطلمنكي، والاحتمال الكبير هو أن الطلمنكي من فَكَّكَ الكتاب وليس اختصره، أو هو من عمل النُسَّاخ، الذين يشهد التاريخ على كثير منهم، أنهم شانوا كتبا كثيرة.

على كل حال فقد استفاد الباحثون، من نشرتي ابن أبي شنب والشابي واليافي لطبقات أبي العرب، لكن الكتاب يحتاج إلى بحث عن أصول خطية أخرى له وإعادة تحقيقه، وذلك كي يأخذ صورته اللائقة به، ومن ثم تعميق الاستفادة منه بشكل أفضل.

• **المطلب الثالث:** عنوان الكتاب

نشر محمد بن أبي شنب ثلاثة نصوص، وهي طبقات علماء إفريقية لأبي العرب وطبقات علماء إفريقية للخشني، وطبقات علماء تونس لأبي العرب أيضا، ومبدئيا لا يهمنا الكلام على طبقات الخشني، الذي يعتبر كتابا مستقلا، بل يهمنا عمل أبي العرب الذي أخرجه كل من الشابي واليافي تحت عنوان "طبقات علماء إفريقية وتونس"، وحكما بأنه يؤلِّف "كتابا واحدا"[1]، بينما في النشرة الأولى من طرف ابن أبي شنب، طبقات علماء إفريقية لوحدها، وطبقات علماء تونس لوحدها، ويبدو أن سبب ذلك هو أن القطر التونسي حاليا، كان يسمى في عهود الإسلام الأولى "إفريقية"، ويضم مدنا كثيرة من بينها مدينة تونس وكل مدن إفريقية كانت مواطنا للعلماء، فلزم حينها تمييز بعضها عن بعض كما يظهر أن إفراد مدينة تونس بكتاب طبقات لعلمائها، ربما يعود لشهرتها.

لكن وَعَوْدٌ إلى قائمة المؤلفات التي سردناها من تأليف أبي العرب، فكل من ذكر عنوان كتاب الطبقات هذا، لا نجد كلمة تونس معه مما يؤدي للقول بأن الذي نسخ مخطوطة الكتاب، جعل طبقات علماء إفريقية لأبي العرب الأولى، وطبقات الخشني الثانية ووجد ما يشبه التقديم لبداية كتاب جديد حول علماء تونس[2]، فعدها كتابا لوحده والذي يبدو أنها ليست كذلك، مما يؤدي في الأخير إلى القول بأن طبقات علماء إفريقية هو العنوان الأقرب لمضمون الكتاب من غيره، إلا أن كلا من الشابي واليافي، أخرجا طبقات الخشني من الحساب، وجمعا بين طبقات علماء كل من إفريقية وتونس تحت عنوان واحد، وفي هذا هما لم يخطآ، لأنهما قالا بأن مُعَوَّلَهُمَا كان على النسخة المطبوعة.

[1]– مقدمة التحقيق ص 28.

[2]– هذا التقديم في نشرة ابن أبي شنب ص 245، وفي نشرة الشابي واليافي ص 212 هو: "قال محمد بن أحمد بن تميم: كان بتونس جماعة من أهل العلم والفضل وأنا ذاكر إن شاء الله من علمته منهم، أبدأ منهم بذوي الأسنان ثم الذين يلونهم وبالله التوفيق"، حيث تُوهِم هذه العبارة أنها مدخل لكتاب جديد.

- **المبحث الثاني**: موارد أبي العرب في كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس

- **المطلب الأول**: الموارد الصريحة

- **أولا**: أشخاص نقل عنهم

وعددهم 66 شخصا، وحسب ترتيبهم في الكتاب هم: **1**- أحمد بن أبي سليمان روى عنه 15 مرة، **2**- حبيب بن نصر، روى عنه 13 مرة، **3**- فرات بن محمد، روى عنه 52 مرة، **4**- عيسى بن مسكين، روى عنه 10 مرات، **5**- جبلة بن حمود الصدفي، روى عنه 10 مرات، 6- محمد بن بسطام الضبي، روى عنه مرتين، **7**- عبد الله بن الوليد، روى عنه 6 مرات، **8**- الليث بن سعد، روى عنه مرة واحدة، **9**- شهر بن حوشب، روى عنه مرة واحدة، **10**- يحيى بن عمر، روى عنه 3 مرات، **11**- عبد الله بن أبي زكريا الحفري، روى عنه 6 مرات، **12**- يحي بن عون الخزاعي، روى عنه مرتين، **13**- أبو زكريا الحفري، روى عنه مرة واحدة، **14**- محمد بن واقد الواقدي، روى عنه 3 مرات، **15**- عيسى بن محمد، روى عنه مرتين، **16**- سليمان بن يسار، روى عنه مرة واحدة، **17**- عيسى بن محمد بن أبي المهاجر، روى عنه مرة واحدة، **18**- أحمد بن يزيد، روى عنه 24 مرة، **19**- أحمد بن سليمان، روى عنه مرة واحدة، **20**- عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، روى عنه 5 مرات **21**- محمد بن عبيد الأندلسي، روى عنه مرة واحدة، **22**- إبراهيم بن عبد الجبار البغدادي روى عنه مرتين، **23**- عمر بن يوسف، روى عنه مرة واحدة، **24**- يحي بن مطرف، روى عنه مرة واحدة، **25**- أبوبكر محمد بن اللباد، روى عنه 28 مرة، **26**- معاوية الصمادحي روى عنه مرة واحدة، **27**- حمديس بن محمد القطان، روى عنه 5 مرات، **28**- أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد، روى عنه 42 مرة، **29**- سليمان بن سالم، روى عنه 13 مرة **30**- سعيد بن إسحاق، روى عنه 15 مرة، **31**- أحمد بن حسن، روى عنه 15 مرة **32**- يحي بن محمد بن يحي بن سلام، روى عنه 9 مرات، **33**- بكر بن حماد، روى عنه 9 مرات، **34**- محمد بن حفص، روى عنه مرة واحدة، **35**- محمد بن بدر بن يحي الجذامي روى عنه مرة واحدة، **36**- محمد بن محمد بن خالد القيسي، روى عنه مرة واحدة، **37**- أبو جعفر الكوفي، روى عنه مرة واحدة، **38**- أبو عثمان سعيد بن عمر

روى عنه مرة واحدة، **39**- أحمد بن تميم، روى عنه 9 مرات، **40**- محمد بن خالد بن يزيد روى عنه مرة واحدة، **41**- أبو سليمان محمد بن عيشون، روى عنه مرتين، **42**- أحمد بن مؤمن، روى عنه مرة واحدة، **43**- أبوبكر بن عياش، روى عنه مرة واحدة، **44**- محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي، روى عنه مرة واحدة، **45**- ميمون بن عمرو، روى عنه مرتين، **46**- أحمد بن حماد المعلم، روى عنه مرتين، **47**- سهل القبرياني، روى عنه 4 مرات، **48**- أبو عمرو يوسف بن يحي المغامي، روى عنه مرة واحدة، **49**- إبراهيم بن يزيد، روى عنه مرة واحدة **50**- أحمد بن أبي خلف، روى عنه مرة واحدة، **51**- ابن سماعة، روى عنه مرة واحدة **52**- محمد بن سحنون، روى عنه مرة واحدة، **53**- أبو داود العطار، روى عنه مرة واحدة **54**- محمد بن سليمان بن بسيل، روى عنه مرة واحدة، **55**- عبد الله بن محمد بن قاسم روى عنه مرة واحدة، **56**- عبد الله بن خليل، روى عنه مرة واحدة، **57**- أبو عياش بن موسى، روى عنه 5 مرات، **58**- عبد الله بن محمد بن علي الدغشي، روى عنه مرة واحدة **59**- محمد بن الفضل، روى عنه مرة واحدة، **60**- أحمد بن أحمد، روى عنه مرة واحدة **61**- مالك بن عيسى، روى عنه مرتين، **62**- عبد الرحمان بن مروان بن أبي شحمة، روى عنه مرة واحدة، **63**- أحمد بن أبي حاتم، روى عنه مرة واحدة، **64**- عبد الرحمان بن يوسف، روى عنه مرة واحدة، **65**- أسد بن الفرات، روى عنه مرة واحدة، **66**- يونس بن محمد، روى عنه مرة واحدة.

نلاحظ هنا أن أَخْذ أبي العرب عن هؤلاء الرواة يختلف من واحد لآخر، فمنهم من يروي عنه المرات العديدة، ومنهم من يروي عنه مرة ومرتين فقط، ويبرز في مقدمة هؤلاء الرواة فرات بن محمد، الذي ذكرنا أنه روى عنه 52 مرة، ثم يليه أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد، الذي روى عنه 42 مرة، ثم يأتي بعده أبو بكر محمد بن اللباد، الذي روى عنه 28 مرة، يليه أحمد بن يزيد، الذي روى عنه 24 مرة، وعدا هؤلاء يروي أبو العرب عن الباقي من مرة واحدة إلى 15 مرة، ونستطيع وصف نوع الروايات التي رواها أبو العرب عن الذين أَكْثَرَ من النقل عنهم بالعادية، ويكون ذلك النقل بين نقل للنصوص وعرض للروايات، كما أن من أكثر من النقل عنهم له اتصال بهم أكثر من غيرهم.

• **ثانيا:** كتب طالعها واستفاد منها

لا ريب في أن أبا العرب، أثناء بناء مادة كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس، قد عاد إلى كتب للنقل عنها لبعض المعلومات اللازمة، وخلال تصفحنا لكتابه المذكور، وجدنا ذلك في التراجم التالية:

– في ترجمته لـ: أبي خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي، قال أبو العرب: "ورأيت لأبي خارجة سماعا من مالك بن أنس مدوَّنا كسماع عبد الرحمان بن القاسم وأشهب"[1].

ورغم أننا لا نعرف عنوان هذا الذي رآه أبو العرب، إلا أنه يمكن تسميته بـ: "سماع عنبسة من مالك"، حيث أن معظم الأسمعة، هي عبارة عن أحاديث أو مسائل فقه أو عقائد، يسمعها الطالب عن شيخه ويدوِّنها، وليس من المستبعد أنه من خلال هذا السماع كان أبو العرب قد علم بحال أبي خارجة هذا الذي ترجم له.

– في ترجمته لـ: أبي مسعود بن أشرس، قال أبو العرب: "وقرأت في عدة رجال ابن وهب أبو الأشرس عبد الرحمان بن أشرس المغربي التونسي فلعله أن يكون أخا لأبي مسعود ابن أشرس"[2]، ولا نعرف مؤلف كتاب عدة رجال ابن وهب هذا بشيء.

– في كلامه عما جاء من الفضائل في إفريقية، قال أبو العرب: "وقرأت عن إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني"[3]، وهذا الأخير أحد المؤرخين الأوائل بإفريقية، ومن غير المستبعد أن أبا العرب قد نقل من أحد كتبه، التي ذكر أنه قرأ لصاحبها.

– في كلامه عمن دخل إفريقية من الصحابة والتابعين، قال أبو العرب: "قال محمد بن واقد الواقدي"[4]، وهذا الأخير مشهور بتآليفه الكثيرة خاصة في المغازي والفتوح، وذِكْرُهُ من طرف أبي العرب، لا يُسْتبعد منه أنه قد استفاد من أحد مؤلفاته.

---

[1]– **الطبقات**، ص 151.

[2]– نفسه، ص 223.

[3]– نفسه، ص 60.

[4]– نفسه، ص 65.

– كذلك وفي نفس المجال، قال أبو العرب: "وحدثني فرات بن محمد بن سليمان قال رأيت في كتاب أبي بكر السوسي أَنَّ ..."[1]، فكتاب أبي بكر السوسي هذا، كان أحد موارد أبي العرب، وهو ينقل عنه بالواسطة.

– أيضا في نفس الباب، قال أبو العرب: "وذكر عيسى بن محمد بن أبي المهاجر"[2] وهذا الأخير مشهور عنه تأليف كتاب مغازي إفريقية، فربما يكون أبو العرب قد نقل عنه.

– وفي السياق نفسه، وفي كلامه عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري، قال أبو العرب: "وإنما وجدنا عنه كتابين فقط حدثني بهما ..."[3]، وقد ذكرنا سابقا أنَّ لهذا الأخير كتابا عن فتوح إفريقية، وكتابا آخر لم نعرف موضوعه، وهذان الكتابان ضمن ما قرأه أبو العرب في زمن طلبه للعلم، ولا شك أنه حين تأليفه لطبقاته، قد استفاد منهما.

– في سياق مغاير وفي ترجمته لأبي عيسى مروان بن عبد الرحمان اليحصبي، قال أبو العرب: "قرأت في كتاب سليمان بن سالم بخط يده وأنا أعرف خطه"[4]، ولم يُصَرِّح بعنوان الكتاب ولا مضمونه.

– في ترجمته لـ: خالد بن أبي عمران التجيبي، قال أبو العرب: "كان بتونس خالد بن أبي عمران التجيبي سمع من القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ومن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن سليمان بن يسار وله كتاب عنهم كبير حدثني به ..."[5]، فهذا الكتاب الذي ذكره أبو العرب، هو لخالد هذا المُتَرْجَمِ له عن هؤلاء الذين سمع منهم ومن الممكن أن يكون كتابا عن مشايخه الذين سمع منهم، حيث استفاد منه أبو العرب.

هذا ما يظهر أنه عبارة عن كتب، جعلها أبو العرب من موارده، ومن غير المستبعد أن هناك كتبا أخرى كثيرة، استعملها أبو العرب، لكنه لم يهتم بالإفصاح عنها أو عن مؤلفيها

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص 70.

[2]– نفسه، ص 78.

[3]– نفسه، ص 100.

[4]– نفسه، ص 154.

[5]– نفسه، ص 212–213.

وَمَرَدُّ ذلك هو أن الكثير ممن عَوَّلَ عليهم أبو العرب، هم من أصحاب التآليف والعلم حيث شهرتهم الواسعة في وقت إعداده هو لكتابه هذا أغنته عن ذكر مؤلفاتهم لكن يبقى ذلك إشكالا لنا نحن الذين احتجنا إلى معرفتها، لكن وللأسف لم يتسنى لنا ذلك.

• **ثالثا:** حضوره الشخصي واستقصاؤه أحوال المترجم لهم

إضافة لما سبق، تميز عمل أبي العرب في كتابه، بتوظيف ما يمكن من موارد لبناء مادته وكان حضوره الشخصي عند ذوي أو أقارب أو معارف المُتَرْجَمِ له، والمبالغة في الاستقصاء حوله، أحد أهم ما بدا لنا حول موارده، وهذا يتضح من خلال التراجم التالية:

– في ترجمته ليحيى بن سلام قال: "ولقد كنت عند يحي ابنه حين أتاه رجل من أهل مصر فحدَّثه أنَّ قبر جده إلى جنب قبر ابن فروخ"[1].

وفيها أيضا قال أبو العرب: "وسألت يحيى بن محمد بن يحي خاليا عن قول جده في الإيمان فقال ..."[2].

وقال عن يحيى بن محمد: "كان صالحا ثقة صحبته سنين طويلة ما رأيته قط ضحك ولا غضب ... وكان محسنا في علمه متواضعا فيه قليل الخوض فيما لا يعنيه"[3].

فهذا ما لا شك فيه يُثبت كيف أن أبو العرب، قد حضر شخصيا لمعرفة كل ما يريده حول الجد يحى والأب محمد والابن الحفيد يحي، وكيف يَتَتَبَّعُ أخبارهم وشدة حرصه في ذلك.

– في ترجمته لـ: محمد وعبد الرحمان ابنا يسوتا، قال أبو العرب: "وسمعت أحمد بن مؤمن يقول سمعت سليمان ابن عمران يقول مات معاوية الصمادحي ومحمد بن يسوتا في يوم واحد"[4] وتوحي العبارة بأنه تَلَقَّفَ هذه المعلومة، من فِيهِ أحمد بن مؤمن، وحاول استقصاءًا أن يُبَيِّنَ من خلالها شيئا عن هذين العلمين.

---

[1]– **الطبقات**، ص 111.

[2]– نفسه، ص 113.

[3]– نفسه، ص 113.

[4]– نفسه، ص 154.

– في ترجمة أبي الهيثم اللؤلؤي، قال أبو العرب: "حدثنا عنه ابنه"[1]، وهذا يعني أن أبا العرب يكون قد حضر إليه في داره أو في أي مكان آخر لقيه وسأله عن والده.

– في ترجمة زرارة بن عبد الله، قال أبو العرب بعدما ساق عنه بعض المعلومات: "فسألت عن زرارة ميمون بن عمرو فعرفه وقال هو ثقة"[2]، وهذا يُبَيِّنُ كيف يستقصي أبو العرب أحوال من يترجم لهم، حتى لو عرفهم وسمع عنهم.

– في ترجمة علي بن يونس الليثي، قال أبو العرب: "كان ثقة حدثنا عنه سعيد بن إسحاق"[3].

– في ترجمة سعيد بن السرتي، قال أبو العرب: "سمعت من عُنِيَ بالحديث يستضعفه"[4].

– في ترجمة أبي نجدة يزيد بن مجالد، قال أبو العرب: "حدثني عنه بكر ابن حماد وفرات بن محمد قال حدثني سعيد بن إسحاق عن حبش بن الوليد عنه"[5].

– في ترجمة عبد الله بن المغيرة الكوفي، قال أبو العرب حول فِعْلَة سيئة سمعها عنه: "فذكرت ذلك لأبي عمر يوسف بن يحيى المغامي"[6]، وهذا كي يعرف رأيه في هذه الفِعْلة، ومِنْ ثَمَّ يكتب حول ابن المغيرة هذا.

– في ترجمة أسد بن الفرات، وبعدما ذكر حوله بعض المعلومات قال: "حدثني بذلك أبي أحمد بن تميم رحمه الله"[7]، وهذا يثبت مباسطة أبا العرب لأبيه، لمعرفة بعض ما يحتاجه عن من يُتَرْجِم لهم، إِذْ أبوه من المشاهير ويعرف الكثير، كما أن مباسطته لأبيه ليس كما يكون مع غيره.

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص 156.

[2]– نفسه، ص 158.

[3]– نفسه، ص 159.

[4]– نفسه، ص 160.

[5]– نفسه، ص 160.

[6]– نفسه، ص 162.

[7]– نفسه، ص 163.

– في ترجمته لأحمد بن أبي محرز، ذكر أبو العرب عنه أخبارا في حاله ثم قال: "وحُدِّثْتُ أن أبا سنان زيد بن سنان الفقيه شهد عند أحمد بشهادة فرد شهادته"[1]، فقوله حُدِّثْتُ زيادة في الاستقصاء حول هذا المترجم له.

– في ترجمة أبي زكريا يحي بن سليمان الخرَّاز الحفري، قال أبو العرب: "لقد حدثني ابنه عبد الله أن أباه ..."[2]، وقال: "وسألت عبد الله بن أبي زكرياء عن مولد أبيه فقال ..."[3]، فهذا يبين حضوره الشخصي، وأخذ معلومات المترجم له من عند ذويه.

– في ترجمة مقسم بن عبد الله قال أبو العرب بعدما ذكر أنه من أهل رواية الحديث: "أحسبه مقسما مولى روح والله أعلم"[4]، فهذا يبين أن أبا العرب يحاول أن يكون في أعلى درجة من الاستقصاء.

– في ترجمة محمد بن علي الدغشي وعبد الله ابنه، قال أبو العرب عنهما: "ويُسْتدل عليهما بحديثهما"[5]، وهذا يبين استعمال أبو العرب كل سبيل ممكن لمعرفة أحوالهما.

– في ترجمة أبي يحي زكريا بن يحي الوقار، قال أبو العرب عنه: "وذكرته لمحمد بن الفضل فقال ..."[6].

– في ترجمة عون بن يوسف الخزاعي، قال: "حدثني يحي ابنه عنه قال ..."[7].

– في ترجمة أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي الدغشي، قال أبو العرب: "وقد حدثني عنه بكر بن حماد وغيره وفي حديثه مناكير الله أعلم بها تدل عليه"[8].

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص 168.

[2]– نفسه، ص 174.

[3]– نفسه، ص 174.

[4]– نفسه، ص 176.

[5]– نفسه، ص 181.

[6]– نفسه، ص 182.

[7]– نفسه، ص 188.

[8]– نفسه، ص 197.

– في ترجمة أبي الحجاج سكن بن سعيد الصائغ، قال أبو العرب: "سألت عنه ميمون بن عمرو وهو ثقة وقد سمعنا منه"[1].

– في ترجمة مروان بن أبي شحمة قال: "لقد حدثني عبد الرحمان ابنه أنه كان ..."[2].

– في ترجمة أبي سنان زيد بن سنان قال أبو العرب: "وقد ذكر لي أبو سليمان بن عيشون وغيره أن ..."[3].

– في ترجمة سليمان بن بسيل قال أبو العرب: "كان من شيوخ أهل إفريقية لم أسمع من أحد عنه إلا من ابنه محمد"[4].

– في ترجمة أبي حاتم يحي بن خالد السهمي قال أبو العرب: "فحدثني ابنه أحمد أن ... ما علمت أحدا حدَّث عنه إلا ابنه"[5].

– في ترجمة غانم بن سعيد قال أبو العرب "حدثني عنه محمد بن بدر بن يحي الجذامي ... وأحسبه من نحو الساحل"[6].

– في ترجمة إسماعيل بن نافع قال أبو العرب: "حدثني عنه عبد الله بن الوليد وسليمان بن سالم وكان ثقة"[7].

– في ترجمة عبد الملك بن أبي كريمة، قال أبو العرب بعد ذكر أخبار بشأنه: "كذلك حدثني سعيد بن إسحاق عن أبي الطاهر عنه"[8].

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص 198.

[2]– نفسه، ص 200.

[3]– نفسه، ص 202.

[4]– نفسه، ص 202.

[5]– نفسه، ص 207.

[6]– نفسه، ص 208.

[7]– نفسه، ص 208.

[8]– نفسه، ص 216.

• **المطلب الثاني**: الموارد المجهولة

كان لهذا النوع من الموارد نصيب، في كتاب أبي العرب هذا، خاصة عندما لا تتضح الصورة حول المُتَرْجَمِ له، ونجد ذلك في التراجم الآتية:

– في كلامه عما جاء من الفضائل في إفريقية، قال أبو العرب: " سمعت بعض المشائخ ممن كان يروي البدئ من الأخبار"[1].

– في كلامه عمن دخل إفريقية من الصحابة والتابعين، ذكر أبو العرب ما عَوَّلَ عليه فقال: "على ما سمعت من أهل العلم في ذلك وما بلغني"[2].

– وفي نفس السياق قال: "وذكر بعض المحدِّثين"[3].

– في ترجمته لـ: عبد الرحمان بن زياد قال: "فسمعت من يُحَدِّث"[4].

– في ترجمته لإسماعيل بن رباح الجزري، قال أبو العرب: "وبلغني أنه خرج في البحر حاجا فتقلَّد إسماعيل مصحفه ثم غرق رحمه الله"[5].

– في ترجمته لـ: محمد وعبد الرحمان ابنا يسوتا، قال أبو العرب: "ويُقَالُ أن أصلهما من البربر"[6].

– وفي ترجمة سعيد بن السرتي، قال أبو العرب: "سمعت من عُنِيَ بالحديث يستضعفه"[7].

---

[1]– **الطبقات**، ص 56.

[2]– نفسه، ص 65.

[3]– نفسه، ص 78.

[4]– نفسه، ص 102.

[5]– نفسه، ص 145.

[6]– نفسه، ص 154.

[7]– نفسه، ص 160.

– في ترجمة أحمد بن أبي محرز، قال أبو العرب: "وحُدِّثْتُ أن أبا سنان زيد بن سنان الفقيه شهد عند أحمد بشهادة فَرَدَّ شهادته وقال له ..."[1].

– في ترجمة زكرياء بن محمد بن الحكم، قال أبو العرب: "سمعت بعض المشايخ يُحَدِّث"[2].

– في ترجمة البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة التجيبي، قال أبو العرب: "وذُكِرَ أنه لما مات وحُمِلَتْ جنازته"[3].

– في ترجمته لـ: مروان بن أبي شحمة، قال أبو العرب: "قال لي شيخ رأيته تَهَجَّرَ إلى الجمعة"[4].

– في ترجمة أبي يحي حماد بن يحي، قال أبو العرب: "وهو أول من قَدِمَ بفقه عبد الملك بن الماجشون القيروان فيما علمت"[5].

– في ترجمة عبد الملك بن أبي كريمة، قال أبو العرب: "يُقال إنه كان مستجابا"[6].

– في ترجمة أبي كريب عبد الرحمان بن كريب البصري، قال أبو العرب: "وسمعت بعض المشايخ يُحَدِّث أَنَّ ابن كريب ..."[7].

– في ترجمة علي بن زياد، قال أبو العرب: "وبلغني عن أسد بن الفرات أنه قال ..."[8].

– في ترجمة هشام بن الخليل، قال أبو العرب: "وسمعت بعض المشايخ يُحَدِّث"[9].

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص 168.

[2]– نفسه، ص 169.

[3]– نفسه، ص 175.

[4]– نفسه، ص 201.

[5]– نفسه، ص 203.

[6]– نفسه، ص 215.

[7]– نفسه، ص 219.

[8]– نفسه، ص 220.

[9]– نفسه، ص 225.

• **المطلب الثالث:** توظيف أبي العرب لموارده في كتابه

بالنسبة للموارد الصريحة، كان أوَّلُها أشخاص نقل عنهم، حيث أن معظمهم إن لم نقل كلهم، كانوا من خيرة أهل العلم بإفريقية في زمنه، فهم فقهاء ومحدِّثون وأهل رواية ودراية ولهم معرفة بأحوال الرجال ما يزيد من مصداقية التراجم التي ضَمَّنَهَا أبو العرب كتابه، مع ما يُضاف إلى ذلك من كَوْنِ أبي العرب نفسه من خيرة من أنجبت إفريقية من العلماء ذوي المعرفة العالية والمتميزة.

ويبدو أن أبا العرب قد عوَّل في بناء مادة كتابه هذا (طبقات علماء إفريقية وتونس) على ما نقله عن هؤلاء الأشخاص، إذ سبق وأن ذكرنا أن عددهم 66 شخصا، حيث أنهم أكثر من غيرهم من الموارد، وقد صدَّر أبو العرب التراجم التي أخذ فيها عن هؤلاء الأشخاص بعبارات مثل "حدَّثني" ، "ذكر" ، "سمعت" ، "قال" ، "قال لي" ، "حدَّثنا" "أخبرني" ، "سألت" ، "بلغني"، وحاول أبو العرب بهذا أن يصل إلى أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الشخص المُترجم له.

كذلك تبرز اللمسة الحديثية في أكثر التراجم، من خلال ذكر السند الموصل إلى المعلومة التي طرحها أبو العرب حول المتَكَلَّمِ عليه[1]، والتراجم التي فيها هذه اللمسة تكون أوثق من غيرها بحكم التحقُّق المتين من معلوماتها.

عموما تميزت هذه الموارد المتمثلة في الأشخاص الذين نقل عنهم بالدقة وحسن الانتقاء إنْ في الشخص المقصود لأخذ المعلومات منه، أو حتى توظيف هذه المعلومات في عبارات مضبوطة تعطي ما يكفي حول المُترجم له، خاصة مع العدد الكبير لهؤلاء الأشخاص حيث بلغوا 66 شخصا، حاول أبو العرب من خلال مساءلتهم، أن يأخذ ما يكفي من مادة لبناء كتابه، ويبدو للمتأمل جيدا، أن هؤلاء الأشخاص كمورد من موارده هم الأساس في الإخبار عن أي شخص أكثر من الكتب أو أي مصدر آخر.

[1]– مثل ما في ترجمة البهلول بن راشد، حيث قال أبو العرب: "حدثني يحي بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه عن جده عن البهلول ..."، ص 128، وأيضا ما في ترجمة أبي خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي، حيث قال أبو العرب: "لقد حدثني محمد بن خالد بن يزيد عن أبيه قال ..."، ص 151.

وحول الكتب التي استفاد أبو العرب منها، كان ذكره لها على وجهين تصريحا وتلميحا والألفاظ التي استعملها في إيراده منها هي: "رأيت"[1] ، "قرأت"[2]، وأيضا لمن اشتهر بالتأليف يُبَيِّنُ أَخْذَهُ عن كتبه التي وقعت بين يديه بلفظ: "قال"[3] "ذكر"[4].

وعموما كان منهجه أنه تارة يذكر مضمون الكتاب ومؤلفه، وتارة يذكر المؤلف فقط وأحيانا يذكر سنده في الأخذ عن الكتاب ومؤلفه، وأحيانا ينقل عنه بالواسطة عن طريق شخص آخر، وقد يذكر الكتاب ثم يأتي بما نقل منه، أو العكس يأتي بما نقل ثم يُعَرِّج على ذكر الكتاب، وأبو العرب بما استفاده من الكتب التي نقل عنها، يكون أولا قد سلك مسلك التنوع في موارده، ثم أن ذلك هو نوع من بعث الثقة في نفوس قُرَّاءِ كتابه ليطمئنوا إلى ما ذكره، أو أنه ربما وجد معلومات لم يكن غيره ليصل إليها، أو حتى لو وصل إليها لم يكن ذلك بمستوى ما نقدها به أبو العرب.

وفيما يتعلق بحضوره الشخصي واستقصاء أحوال المترجم لهم، كان هذا الأمر يتسم بالجدية، حيث يعمد أبو العرب إلى إتيان المترجم له شخصيا أو عائلته أو أحد أقاربه ومعارفه، والمبالغة في الإصرار على الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعلومات، حول الشخص المراد معرفته والكتابة عنه، وكثير من الألفاظ والعبارات في هذا المجال استعملها أبو العرب مثل:

---

[1]– مثل ما في ترجمة أبي عيسى مروان بن عبد الرحمان اليحصبي، حيث قال: "قد رأيت في كتاب سليمان بن سالم بخط يده وأنا أعرف خطه"، ص 154.

[2]– في كلامه عما جاء من الفضائل في إفريقية، قال أبو العرب: "وقرأت عن إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني ..."، ص 60.

[3]– مثل ما في ترجمة عبد المؤمن بن مستنير الجزري، حيث قال أبو العرب: "وقال محمد بن سحنون"، ص 197.

[4]– مثل ما ذكره في تسمية من دخل إفريقية من أصحاب النبي عليه السلام، حيث قال أبو العرب: "وذكر عيسى بن محمد بن أبي المهاجر أنه رأى في كتاب السوسي أن ..."، ص 78.

"على ما سمعت من أهل العلم في ذلك وما بلغني"[1] ، "لا علم لي بحاله"[2]، "كنت عند ابنه"[3] ، "ما علمت أنه رُويَ عنه علم"[4] ، "حدثنا عنه ابنه"[5] ، "حُدِّثْتُ"[6] "سألت عنه ابنه"[7] ، "ما علمت إلا خيرا"[8] ، "ما سمعت أحدا يذكره بسوء"[9] "أحسبه كذا وكذا"[10] ، "سألت عنه فلان، سمعت فلان يقول حوله، حدثنا عنه فلان ذكرته لفلان فقال، حدثني بذلك فلان، ذكر لي عنه فلان"[11].

فكل هذه العبارات، تبين مدى ما يبذله أبو العرب، في سبيل تقصي وتتبع كل المعلومات الصحيحة والثابتة، أو حتى القريبة من ذلك، بشأن أصحاب التراجم التي أدرجها في كتابه.

وبخصوص الموارد المجهولة فهي عديدة، وتأتي في المرتبة الثانية، من ناحية الكثرة بعد مورده الأول، وقد وظف أبو العرب ذلك وهذا من خلال ذكره ألفاظ وعبارات مثل: "على ما سمعت من أهل العلم في ذلك وما بلغني"[12] ، "ذكر بعض المحدِّثين"[13]

---

[1]– مثل ما قال في ذكر من دخل إفريقية من الصحابة والتابعين، ص 65.

[2]– مثل ما في كلامه عمن دخل إفريقية من التابعين، وحين ذكره لأبي الأبيض، ص 95.

[3]– مثل ما في ترجمة يحي بن سلام الجد، حيث تكلم عن ابنه محمد وحفيده يحي، هذا الأخير الذي قال عنه: "ولقد كنت عند ابنه يحي ..."، ص 111.

[4]– مثل ما في ترجمة أبي خالد عبد الخالق، ص 140–141.

[5]– مثل ما في ترجمة أبي الهيثم اللؤلؤي خالد بن يزيد الفارسي، ص 156.

[6]– مثل ما في ترجمة أحمد بن أبي محرز، ص 168.

[7]– مثل ما في ترجمة أبي زكريا يحي بن سليمان الخراز الحفري، ص 174.

[8]– مثل ما في ترجمة عمر بن سمك، ص 179، وسليمان بن بسيل، ص 202.

[9]– مثل ما في ترجمة محمد بن عياض المعلم القيسي، ص 198.

[10]– مثل ما في ترجمة غانم بن سعيد، حيث قال أبو العرب: "وأحسبه من نحو الساحل"، ص 208.

[11]– يَكْثُرُ ذِكْرُ هذه العبارات القصيرة من ترجمة إلى أخرى، لذا لم نستدل لها بنموذج توضيحي معين من كتاب أبي العرب.

[12]– مثل ما قال في ذكر من دخل إفريقية من الصحابة والتابعين، ص 65.

[13]– مثل ما ذكره في تسمية من دخل إفريقية من أصحاب النبي عليه السلام، ص 78.

"يُقال"[1] ، "ذُكِرَ أنه"[2] ، "قال لي شيخ"[3] ، "فيما علمت"[4] ، "سمعت بعض المشايخ"[5].

وتبرز كلمة "يُقال"، ضمن الموارد المجهولة التي استعملها أبو العرب، كأنه يريد أن يقول أنه غير متأكد مما أورده، ضمن الترجمة التي وَقَعَتْ فيها، حيث هو نوع من النقد مما يُبَين أن أبا العرب ليس ناقلا للمعلومات فقط، وإنما يُمَحِّص إن لزم الأمر، ولو لم يصل إلى نتيجة على الأقل يُثِير الانتباه حول بعض معلومات المترجم لهم، كما أن هذه الألفاظ والعبارات التي استعملها أبو العرب ضمن الموارد المجهولة، مرة يأتي بها في أول الترجمة وأخرى في وسطها وأحيانا في آخرها، وهذا ما أمكننا أن نقول في هذا المضمار.

[1]– مثل ما في ترجمة محمد وعبد الرحمان ابنا يسوتا، ص 154.

[2]– مثل ما في ترجمة البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة التجيبي، ص 175.

[3]– مثل ما ذكر في ترجمة مروان بن أبي شحمة، ص 201.

[4]– مثل ما في ترجمة أبي يحي حماد بن يحي، ص 203.

[5]– مثل ما في ترجمة أبي كريب عبد الرحمان بن كريب البصري، ص 219.

• **المبحث الثالث**: تقسيم الكتاب

• **المطلب الأول**: أبو العرب والتراجم الواردة في كتابه

من المفروض أنه توجد مقدمة في أي كتاب، والتي يعرض فيها صاحب الكتاب منهجه من البداية إلى النهاية، وفي حالتنا هذه، وكلامنا عن طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب، لا نجده قد جعل ذلك، وبما أن كلامنا عن منهج أبي العرب في التراجم الواردة في كتابه، لزم علينا أن نعرف ذلك من تضاعيف الكتاب.

نجد أولا أن أبا العرب قد بدأ بالكلام على إفريقية العربية الإسلامية، من حيث بداية نشأتها وفضائلها، ثم من دخلها من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فالتابعين وهكذا من بعدهم، حتى استقر أخيرا في الكتابة عن العلماء الذين سمى بهم كتابه، حيث كان ذكر علماء مدينة إفريقية كمركز بشكل حصري وليس كَمُسَمًّى لكل البلد أكثر عددا من علماء مدينة تونس.

كما لم يظهر أنه اعتمد الترتيب الهجائي للتراجم، كما هو معتاد في مثل هذه المصنفات، وربما يكون أبو العرب قد رتب تراجم كتابه هجائيا، لكن وقع الخلل في ذلك بعده، حيث أن هذا الترتيب كان من المفروض أن يعيد تثبيته المحققان (الشابي واليافي) لكن بالنظر إلى حالة الكتاب لدى نشره من طرف ابن أبي شنب واختصاره قبل ذلك من طرف الطلمنكي، جعلهما يضربان صفحا عن ذلك، وربما كان إعادة ترتيب تراجم الكتاب على حروف الهجاء يزيد من تناسقه وترابطه لو فعلا.

كذلك بالنسبة للتراجم لا توجد أبواب رئيسية أو فرعية تنضوي تحتها، نجد سردا مباشرا للتراجم واحدة بعد أخرى إلى نهاية الكتاب، وهذه التراجم تتراوح فيما بينها من ناحية ما تتكوَّن منه، ونعني بذلك ذكر اسم صاحب الترجمة مع نسبه إِنْ وُجِدَ، وكذا المدينة أو البلد التي أتى منها، وكذا ذكر حالته الاجتماعية ومكانته، وأيضا مهنة صاحب الترجمة والعلوم التي استفادها وأفاد فيها وميادين براعته، كما نجد هناك ذكرا لشيوخ المترجم له، وهل رحل لطلب العلم أم لا، وكذلك يعرِّج أبو العرب نحو ذكر ما يتصف به المترجم له من حميد الخلال وأقوال العلماء الثقات فيه، مع ذكر سنة الميلاد أو الوفاة أو هما معا.

وهذا الذي ذكرته يختلف بين ترجمة وأخرى، حيث يصعب ذكر هذا كله وتتبعه في كل ترجمة لوحدها، وإنما الخط العام عندما نأتي للتَحَقُّق نجد أحد هذه الملاحظات موجودة ضمن هذه الترجمة أو تلك.

- **المطلب الثاني:** ملاحظات حول التراجم

- **أولا:** الطول والقصر

من خلال مراجعة تراجم الكتاب، يتبين أن بعضها طويل وبعضها الآخر بين قصير وقصير جدا ومتوسط الطول، حيث أن ذلك يرجع إلى تَيَسُّر توفر معلومات كل ترجمة من عدمه، حيث يقول في آخِرِ بعض التراجم: "أنه ترك كثيرا من المعلومات مخافة التطويل أو الإطالة"[1].

كذلك نجده في بعض التراجم، يحِيل إلى بعض كتبه الأخرى[2] للتَثَبُّت من قضية ما أو للاستدلال لشيئ معين، وهذا ما يُبَيِّن جنوح أبي العرب للاختصار الغير مخل، ومن بين وجوه الاختصار التي تتعلق بطول الترجمة من قصرها، التعليق عليها من طرف أبي العرب حيث عادة ما يربط تعليقه بمن نقل عنه معلوماتها، ويقول: "كذلك قال لي فلان".

ونجد كذلك أن أبا العرب في كل ما يكتبه عن المترجمين في كتابه، يكتفي بالخطوط العريضة الواجب ذكرها، وهذا ربما هو راجع إلى أن الكتاب، غرضه التعريف بعلماء البلد وليس التفصيل في حياتهم العامة والخاصة، وإنما لا يُكْثِرُ من ذكر مآثرهم، ربما كي لا يُثِيرَ ذلك الانتقاد، ولا يخرج عن الحدود التي رسمها لكتابه.

كذلك لم يُكْثِر أبو العرب، من التفصيل في ذكر الأماكن التي أصل العلماء المُتَكَلَّمِ عنهم منها أو نزلوها، ربما لأن عنوان كتابه المتضمن لفظتي إفريقية وتونس يُغني عن كل ذلك عموما يُلاحظ أن هناك ضبط، في كثير من معلومات تراجم الكتاب، يظهر ذلك جليا لكل من يتصفحه.

---

[1]– مثل ما في ترجمة يحي بن سلام، حيث قال: "وله مناقب كثيرة تركتها كراهة التطويل"، ص 113، وكذلك ما في ترجمة البهلول بن راشد، حيث قال: "مناقب بهلول كثيرة ولكنا نكره التطويل"، ص 138، وأيضا في ترجمة موسى بن معاوية الصمادحي، قال: "ولموسى مناقب كثيرة لم نذكرها لئلا يطول"، ص 191.

[2]– كما في ترجمة أبي معمر عباد بن عبد الصمد التميمي، حيث قال: "وقد ذكرناه في كتابنا الذي ألَّفناه في ثقات المحدثين وضعافهم وبينا أمره"، ص 94، وكذلك في ترجمة الحارث بن نبهان حيث قال: "وقد ذكرنا ما قالوا فيه في كتابنا الذي ألفناه في ثقات الرجال وضعافهم"، ص 105.

• **ثانيا:** الاستطراد والخروج عن حدود الترجمة

إلقاء نظرة على التراجم الواردة، في كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، يُبَيِّنُ أن صاحبه أبا العرب صحيح أنه أطال في بعض التراجم[1]، وهذا ربما رغبة في الوصول إلى توثيق أكثر لما يقول، إلا أنه في الكثير تكون تلك الإطالة، فيما يستوجبه كلامه عن هذا المترجم له أو ذاك، ما يعني في النهاية شدة الحرص على الالتزام بموضوع الترجمة، وتوظيف الاستطراد إن فُرِضَ عليه فيما يخدم هذه الترجمة.

خلال تصفحنا لكتاب أبي العرب هذا، لاحظنا أن التوسع في الكلام على المترجم لهم كان مثلا حول مذهب معين انتحلوه[2]، فَعَرَّفَ به وذمه أو أشاد به، أو معركة شارك فيها المترجم له أو له بها علاقة[3]، ذكر أبا العرب تداعياتها خاصة في فترة حرجة كالتي عاشها وكذلك ذكره لأشخاص آخرين، لهم صلة من قريب أو من بعيد بصاحب الترجمة، وكل هذا عند أبي العرب، نوع من الاستشهاد لدعم ما ذكره.

كذلك نجد التناسق والترابط، بين عناصر الترجمة الواحدة في هذا الكتاب، وهذا وجه من وجوه عدم الخروج عن حدود الترجمة إلى حد بعيد، وأيضا نجد أن هناك بعض التشابه الذي يكون في معلومات التراجم، ونقصد به التكرار لبعض المعلومات، فهذا إما أنه صحيح واحْتِيجَ له أثناء الكتابة، أو هو نوع من الاستطراد لكنه لا يضر كونه جاء في معرض الاستدلال، كذلك نلاحظ حضور الشعر، فيما كتب أبو العرب ضمن تراجم هذا الكتاب[4]، لكنه ليس بالشيء الكثير، وَذِكْرُهُ يُعتبر استطرادا لكنه يأتي لزيادة تأكيد ما يُقال في شيء ما ضمن هذه الترجمة أو تلك.

---

[1]– مثل ترجمة عبد الرحمان بن زياد، التي شغلت الصفحات من 95-105.

[2]– مثل ما ذكر في ترجمة يحي بن سلام، الذي ذكر عنه انتحال آراء فرقة المرجئة، ص 111-114.

[3]– كما في ترجمة أبي محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي، حيث قال عنه: "وكان قديما ما طعن عليه بشيئ إلا أنه ذُكرت عنه زلة عند زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في حرب منصور الطنبذي والله أعلم بحقيقة ما قيل"، ص 155.

[4]– كما في ترجمة عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري، ص 102- 104.

• **ثالثا:** صياغة معلومات الترجمة

بعد توفر المعلومات الكافية عن المترجم له، يسعى أبو العرب إلى تنظيمها وحسن توزيعها بأسلوب دقيق، ينبئ عن مدى التناسق الذي طبع به كتابه، ولا غرابة في ذلك فهو الخبير في هذا الجانب، فهو لا يخلط بين شخص وآخر في الترجمة، فمثلا إذا كان أحد المترجمين أَبًا وله ابنٌ مُتَرْجَمٌ له أيضا في هذا الكتاب، يكون الكلام على كل واحد في مكانه[1]، ولا يذكر أحدهما في مكان ترجمة الآخر، إلا للدلالة على شيء معين لا غير.

نجد كذلك أن أبا العرب يعمل على صياغة تراجم كتابه، من خلال ما توفر له من معلومات ثم يحاول ضرب الأمثلة التي تؤكدها والشواهد التي تؤيدها[2].

أيضا الألفاظ التي يستعملها أبو العرب في وصف مُتَرجَمِيه، تتسم بالدقة والرقة وحسن الانتقاء، حيث تعطي صورة شاملة عنهم، وهي كلمة أو كلمتين شديدة التركيز، وإلى جانب تلك الكلمات المركزة نجد الجمل القصيرة، كأسلوب آخر في تنويع أوصاف المترجمين، مثل: "وكان عدلا صلبا في قضائه"[3]، "وكان ثقة ثبتا وكان له إدراك"[4]، "كان ثبتا ثقة نبيلا"[5] "رجل صالح مبرز لا يُشَكُّ في أنه ثقة مستجاب"[6]، وغير ذلك كثير من هذه الألفاظ والعبارات.

أيضا كانت التواريخ المحددة حاضرة في صياغة التراجم، وتقريبا كلها لها علاقة إما بمولد أو وفاة المترجم له التي عادة ما تُذكر لوحدها، وأحيانا بتحديد اليوم والشهر والسبب والمكان والجنازة وترتيباتها، كما يدخل في هذا التخمين والظن والتقريب، عندما لا يدري أبو العرب عن هذه التواريخ شيئا.

---

[1]- مثل أبي محرز محمد بن عبد الله الكناني، ص 166، وابنه أحمد بن أبي محرز، ص 167، وغير ذلك كثير.

[2]- مثل ما في ترجمة أبي يزيد رباح بن يزيد اللخمي، ص 118-126.

[3]- انظر ترجمة عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري، ص 95.

[4]- انظر ترجمة يحي بن سلام، ص 111.

[5]- انظر ترجمة عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني، ص 116.

[6]- انظر ترجمة يزيد بن رباح بن يزيد اللخمي، ص 118.

كذلك يقع ضمن التواريخ بدء المُتَرجَم له طلب العلم، من خلال وقت خروجه من بلده إلى بلد آخر، وكذا العودة أو الاستقرار بالبلد المرحول إليه، والغالب ذكر سنة الوفاة كما هي طبيعة مثل هذه المؤلفات، ونجد أيضا ضمن التواريخ ذكر بعض الحوادث على الأكثر دون تفصيل.

خاتمة

خاتمة

قبل أن أعرض أهم ما نتج عن هذه الدراسة، التي قمت بها على كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب، أقول أن ندرة العمل في مثل هذه الدراسات (الكتابة التاريخية عند أبي العرب)، جعلنا في مقدمة من يخوض فيها، ولم يكن عملي هذا سوى محاولة لطرق مثل هكذا مواضيع رغم الصعوبات التي اعترضتني، ومهما يكن من أمر وبعد تناولنا للموضوع الذي عنوانه: **المعرفة التاريخية في كتب التراجم المغاربية كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م) أنموذجا**، وخلاصة ما توصل إليه هذا البحث أنَّ:

– أبا العرب كان نموذجا للمؤرخ الموسوعي، حيث لم تكن اهتماماته تتعلق بمجال التاريخ فقط ولاحظت أنه من خلال المواد التي قرأها حال طلبه العلم مثل الفقه، وأيضا شهوده لمجالس العلم المختلفة بإفريقية، وكذا المناظرات وكونه طرفا في بعضها، وكذلك من خلال مؤلفاته المتعددة المواضيع والعناوين، بين الفقه والحديث والمناقب والجرح والتعديل.

– وأنَّ اهتمامه بمجال التاريخ كان نابعا من اهتمامه بالكتابة في تراجم رجال إفريقية، من محدِّثين وفقهاء وأئمة ورواة، وغيرهم مما يدخل في هذا المجال، حيث حاول أن يستقصي في كتابه هذا، كل من دخل إفريقية من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، قبل منتصف القرن الرابع الهجري، ولم يكن اهتمامه هذا عرضيا، لأنه يوصف بحامل لواء التاريخ بإفريقية، ومن كان كذلك لابد وأن يكون تبوأ مكانة سامية ومرموقة مكَّنَتْهُ من الوصول لذلك وجعلته يطرق بعض المواضيع التي لم يكن لأقرانه من الأفارقة تَوَجُهٌ نحوها، وبالتالي يكون أبو العرب متميزا بين معاصريه في هذا المجال.

– وأَنَّ كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس، يُعَدُّ نموذجا جيدا لكتب التراجم والطبقات ببلده في عصره، من حيث موضوعه وطرحه فيه وفيما يحتويه وتنوُّع موارده وطريقة التنظيم والمنهج.

– وأَنَّ كتابه أحد أوعية المعرفة التاريخية، من خلال ما يحتويه من أخبار تشكِّل مادة علمية تاريخية مهمة، تصلح للشروع في كتابة تاريخ إفريقية والمغرب بشكل عام.

– وأنَّهُ على الرغم من كثرة المؤلفات في تلك الفترة (القرن الرابع الهجري) بإفريقية ولأسباب مختلفة فإن كتابه على كُلٍّ سد ثغرة مهمة في المكتبة التاريخية المغاربية، حيث يجده الباحث غنيا بالمعلومات المهمة في ثناياه، مثل الحكايات والمواعظ والأخبار والحكم والآداب والمناظرات الفقهية والعقائدية وفوائد أخرى في فتوحات بلده إفريقية ومختلف جوانب تاريخها وأخبار رجالاتها من الأمراء والقضاة والقادة، وكذلك من خلال أنه يترجم للعديد من علماء إفريقية الذين فيهم من رحل إلى بلدان أخرى، فيذكر بعض ما يتعلق برحلاتهم وظروفها، وأحيانا يتطرق للتعرُّض لبعض أحوال البلد المرحول إليه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يذكر أسانيدهم ومروياتهم التي لو تُدْرَس تُجْلي غامض قضايا أخرى عديدة.

– ذكر أبو العرب في كتابه هذا، بعض من زار إفريقية وحدَّث بها من خارجها، مثل مصر والأندلس وغيرهما حتى ولو لمدة يسيرة جدا.

– نجد في كتاب أبي العرب هذا ذكرا لتراجم عديدة للعباد والصلحاء والزهاد ممن لا مشاركة لهم في الحركة العلمية.

– لا نجد ذكرا لعلماء النحو والصرف وباقي العلوم من غير الحديث والفقه، وكأنها لم تكن موجودة بإفريقية حينذاك، مما يترك استفهاما وتساؤلا!!.

– أبو العرب كغيره من مؤرخي الإسلام قلما يتعرَّض لذكر تواريخ الوفيات، وذكر عناوين مصنفات المترجم له عنده.

– أبو العرب عالم من علماء الجرح والتعديل، إلا أنه في كتابه موضوع دراستي قلما يتعرَّض لتعديل أو تجريح بصريح العبارة، علما بأنه كتب كتابا في ثقات المحدِّثين وضعفائهم ، فلعله ترك هذا التفصيل في الطبقات، واستدركه في الثقات.

– مؤلفات أبي العرب بعامة لها تأثير فيمن جاء بعده، وكتابه طبقات علماء إفريقية وتونس بشكل خاص، حيث وجدنا أن هناك نقل عنه من طرف كثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعد زمن أبي العرب، مثل المالكي في رياض النفوس وعياض في ترتيب المدارك والدباغ في معالم الإيمان، وَمُطَالِعُ كتب هؤلاء يجد ذلك بكثرة.

– من خلال هذه الدراسة، نؤكد على أهمية الشروع في مواضيع تتناول الكتابة التاريخية عند أبي العرب بشكل موسع، لأن ما قمنا به ما هو إلا محاولة أولية، ثم أنه لجزء من تلك الكتابة فقط من خلال النموذج المطروح وهو كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس، كذلك ليس إنشاء مواضيع مستقلة عنه من طرف الباحثين، بل حتى البحث عن كتبه المخطوطة وتحقيقها وإخراجها للانتفاع بها، وقد مر معنا أن منها ما يوجد مخطوطا أو حتى نتفا منها، وَلِمَ حتى إعادة بناء مادة المفقود منها من خلال النقول التي في بعض الكتب عنها، وأيضا حتى تجميع ما أُثِرَ عن أبي العرب من أشعار، وهذه كلها قضايا ربما نقوم بواحدة منها خلال ما يأتي من مستقبلنا الدراسي، أو نقوم بجميعها طوال العمر وهو أمر ليس بمستحيل والله الموفق.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع(*)

أولا: المصادر

1- محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م)، **كتاب الأجوبة**، دار سحنون، تونس، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م.

2- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت 284هـ/897م)، **كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1860م.

3- ابن الصغير (القرن الثالث الهجري)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. د. محمد ناصر والأستاذ إبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1987م.

4- المعتزلي أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد ابن الخياط (ت 300هـ/912م)، **كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**، مقدمة وتحقيق وتعليقات. د.نيبرج، مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الندوة الإسلامية، القاهرة – بيروت، 1987م – 1988م.

5- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م)، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تقديم وتعليق. علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

6- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ/944م)، **كتاب المحن**، تح. د. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1427هـ/2006م.

7- أبو القاسم الفزاري (ت 345هـ/956م)، **القصيدة الفزارية في مدح الخليفة الفاطمي المنصور**، دراسة وتحقيق. مصطفى الزمرلي، تقديم ومراجعة، حمادي الساحلي ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م.

(*) المصادر رتبناها حسب تواريخ وفيات مؤلفيها، أما باقي المراجع فقد رتبناها ألفبائيا، حسب أسماء مؤلفيها.

8- الكندي محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، **ولاة مصر**، تح. د. حسين نصار، دار صادر، بيروت بلا.تا.

9- أبو العباس الإبياني (ت 352هـ/963م)، **مسائل السماسرة**، تح. محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

10- السجستاني أبو يعقوب (ت 353هـ/964م)، **كتاب الافتخار**، تحقيق وتقديم. د. مصطفى غالب، دار الأندلس، د.م.ن، ط1، 1981م.

11- القاضي النعمان (ت 363هـ/974م)، **إفتتاح الدعوة**، تح. فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

12- القاضي النعمان بن محمد (ت 363هـ/974م)، **المجالس والمسايرات**، تح. الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط2، 1997م.

13- النصيبي أبو القاسم ابن حوقل (ت 367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

14- الكبير محمد بن محمد الحاكم (ت 378هـ/988م)، **عوالي الإمام مالك**، تقديم وتحقيق. الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار سحنون، تونس ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ/2011م.

15- الخشني محمد بن حارث بن أسد (ت بعد 381هـ/991م)، **علماء إفريقية**، عني بنشره وصححه وراجع أصله. السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ/1994م.

16- الخشني القروي (ت بعد 381هـ/991م)، **قضاة قرطبة**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

17- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 390هـ/999م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ط2، 1906م.

18- الأزدي أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي (ت 403هـ/1012م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح. د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

19- الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم (ت 456هـ/1063م)، **جمهرة أنساب العرب**، تح. جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

20- القرطبي أبو عمر يوسف ابن عبد الله ابن عبد البر (ت 463هـ/1070م)، **الأنباه على قبائل الرواه**، حققه وقدم له ووضع فهارسه. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

21- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 474هـ/1081م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حققه. بشير البكوش، راجعه. محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م.

22- الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح (ت 488هـ/1095م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح. بشار عواد معروف، ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

23- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر (القرن الخامس الهجري)، **سير الأئمة وأخبارهم**، حققه ووضع هوامشه. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1984م.

24- القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح. د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا.تا.

25- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، تح. محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا.تا.

26- الصنهاجي أبو بكر بن علي البيذق (ت 555هـ/1160م)، **أخبار المهدي بن تومرت**، تح. عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

27- الإدريسي أبو عبد الله محمد (ت 560هـ/1166م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م.

28- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ/1166م)، **الأنساب**، تقديم وتعليق. عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

29- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1182م)، **أخبار ابن وهب وفضائله**، دراسة وتحقيق وتعليق. قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

30- الحازمي أبو بكر محمد بن أبي عثمان (ت 584هـ/1188)، **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب**، حققه وعلق عليه وفهرس له. عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1384هـ/1965م.

31- عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1197م)، **المن بالإمامة**، تح. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م.

32- ابن ظافر الأزدي (ت 613هـ/1216م)، **أخبار الدول المنقطعة**، تح. د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م.

33- الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، تح. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.تا.

34- الصنهاجي أبو عبد الله محمد (ت 628هـ/1230م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق. جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

35- الشيباني عز الدين علي بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، حققه واعتنى به. د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1431هـ/2010م.

36- القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبّار (ت 658هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، حققه وعلق حواشيه. د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

37- الأنصاري أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الدباغ (ت 696هـ/1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح. د. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

38- العبدري أبو عبد الله محمد (ت 700هـ/1300م)، **رحلة العبدري**، تح. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1419هـ/1999م.

39- المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذاري (ت بعد 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة. ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.

40- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح. سعد يوسف محمود وآخرون، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بلا.تا.

41- الوادي آشي محمد بن جابر (ت 749هـ/1348م)، **برنامج الوادي آشي**، تح. محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م.

42- الفيومي أحمد بن محمد (ت 770هـ/1368م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، بلا.تا.

43- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ/1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق. د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1426هـ/2005م.

44- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ/2006م.

45- القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن ابن القنفذ (ت 810هـ/1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

46- القلقشندي أبو العباس أحمد (ت 821هـ/1418م)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1411هـ/1991م.

47- القيسي محمد بن أبي بكر (ت 840هـ/1436م)، **إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك**، تح. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

48- ابن المرتضى أحمد بن يحي (ت 840هـ/1436م)، **طبقات المعتزلة**، عنيت بتحقيقه. سوسنه ديقلد قلزر، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، بلا.تا.

49- المقريزي أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح. محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

50- العسقلاني أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت 852هـ/1448م)، **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**، تحقيق ودراسة. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1429هـ/2008م.

51- العسقلاني شهاب الدين أحمد ابن حجر (ت 852هـ/1448م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، 1414هـ/1993م.

52- عماد الدين إدريس (ت 872هـ/1488م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار–** ، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.

53- الفخري علي بن محمد بن عبد الله (القرن التاسع الهجري)، **تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان**، تحقيق وتقديم. د. رشيد البندر، دار الحكمة، لندن، ط1، 1415هـ/1994م.

54- شمس الدين السخاوي (ت 902هـ/1496م)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

55- الهيتمي شهاب الدين أحمد بن حجر (ت 974هـ/1566م)، **الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، علَّق عليه. محمد عاشق إلهي البرني، دار الأرقم، بيروت، بلا.تا.

56- مؤلف مجهول (القرن العاشر الهجري)، **تاريخ مصر وفضائلها**، تح. د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م.

57- القرافي بدر الدين محمد بن يحي (ت 1008هـ/1599م)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م.

58- الهروي نور الدين علي بن سلطان (ت 1014هـ/1605م)، **الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية**، تح. محمد زاهد كامل جول، منشورات الجمل، بغداد – بيروت، 2012م.

59- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ/1626م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2004م.

60- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ/1626م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح. أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

61- التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت 1041هـ/1631م)، **كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق وتعليق. مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1938م.

ثانيا: المراجع

المراجع العربية

1- أبو الربيع سليمان الباروني، **مختصر تاريخ الإباضية**، بلا.تا، د.م.ن.

2- إبراهيم بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط2، 1994م.

3- إدريس الكتاني، **دور المذهب المالكي في بناء الشخصية العربية الإسلامية لسكان إفريقيا الشمالية وموريتانيا**، اعتناء وتصحيح. الشريف حمزة بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

4- بوبة مجاني، **المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب الإسلامي**، منشورات الزمن، الرباط، 2005م.

5- بوبة مجاني، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296 – 362هـ/909م – 973م)، الجزائر – ليبيا – تونس – المغرب**، دار بهاء الدين الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، وعالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.

6- جمال أحمد طه، **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008م.

7- حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، جمع وإشراف. محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1972م.

8- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.

9- حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا.تا.

10- حسين عاصي، **اليعقوبي عصره سيرة حياته منهجه التاريخي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.

11- الحبيب الجنحاني، **القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، دار سحنون، تونس، 2002م.

12- خالد الصقلي، **الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني (462 – 592هـ/1070 – 1194م)**، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 1433هـ/2012م.

13- راضي دغفوس، **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1425هـ/2005م.

14- زاهر بن سالم بلفقيه، **مؤرخ تونس ومحدثها الحافظ أبو العرب القيرواني محمد بن أحمد التميمي (251 – 333هـ) حياته – مؤلفاته – أقواله في الرجال**، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.

15- سامي العيَّاش، **الاسماعيليون في المرحلة القرمطية**، دار ابن خلدون، بيروت، بلا.تا.

16- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2008م.

17- شاكر خصباك، **الجغرافية عند العرب**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، بلا.تا.

18- عبد الرحمان حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1416هـ/1995م.

19- عبد الرحمان عثمان حجازي، **المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

20- عبد العزيز المجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار سحنون، تونس، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ/2008م.

21- عبد الودود محمد السريتي، **تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة**، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م.

22- علي جمعة محمد، **المدخل لدراسة المذاهب الفقهية**، دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ/2007م.

23- علاوة عمارة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

24- عمرو خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، ترجمة، ميخائيل خوري، مراجعة، د. ماهر جرار، دقَّق وراجع أصوله وعلَّق عليه، د. محمد صالح ناصر ومصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م.

25- فاروق حمادة، **مدونة الإمام سحنون أم المصنفات الفقهية نشأة عناية تأثيرا**، دار القلم، دمشق، ط1، 1433هـ/2012م.

26- فوزي مصمودي، **الزاب المصطلح والدلالات**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013م.

27- مجموعة من الباحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1429هـ/2008م.

28- محمد الصالح مرمول، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

29- محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

30- محمد النيفر، **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، المطبعة التونسية، تونس، ط1، 1351هـ.

31- محمد زرمان، **محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية**، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ط1، 2007م.

32- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.

33- محمد مسعود جبران، **علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2010م.

34- محمد مخلوف (ت 1360هـ/1941م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه، د. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

35- محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي**، دار العودة، بيروت ومكتبة مدبولي، القاهرة، 1976م.

36- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، تر. حمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

37- يوسف حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري «90/450هـ»**، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م.

المراجع المُعَرَّبة

1- أحمد عزيز، **تاريخ صقلية الإسلامية**، تر. أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980م.

2- استانلي لين بول، **تاريخ الخلفاء والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري**، ترجمه للفارسية. د. عباس إقبال، ترجمه عن الفارسية. مكي طاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

3- ألفرد بل، **بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين دراسة تاريخية وأثرية**، تقديم وتعريب. محمد حمداوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2001م.

4- برنارد لويس، **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، راجعه وقدم له. د. خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، ط3، 1993م.

5- فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات**، نقله إلى العربية. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.

6- محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية 184هـ - 296هـ/800م - 909م، التاريخ السياسي**، نقله إلى العربية. المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

7- ميكلوش موراني، **دراسات في مصادر الفقه المالكي**، نقله عن الألمانية. د. سعيد بحيري، د. عمر صابر عبد الجليل، محمود رشاد حنفي، راجع الترجمة. د. محمود فهمي حجازي، المراجعة الببليوجرافية والتحرير. د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة جديدة، 2008م.

الرسائل الجامعية

1- رفيق بوراس، **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف. محمد الصالح مرمول، كلية

العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1427هـ - 1428هـ/2007م - 2008م.

المقالات

1- سليمان بن داود بن يوسف، **دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس**، مقال ضمن كتاب: **محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1393هـ/1973م.

2- الشاذلي النيفر، **من المساهمة الإفريقية في العلوم الإسلامية**، مقال ضمن: **كتاب الأصالة**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1983م.

3- عمر بن حمادي، **كتب التراجم والنخب العلمية الوجه والقفا**، مقال ضمن كتاب: **النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات**، الأطلسية للنشر، تونس، 2014م.

4- محمد توفيق النيفر، **الوسطان التقليديان السني والشيعي وبيت الحكمة القيرواني**، مقال ضمن كتاب: **بيت الحكمة بين بغداد والقيروان**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2011م.

المراجع الغير العربية

1- Claude Cahen, **L'islam des origines au début de l'Empire Ottoman**, paris, 1970.

2- Georges Marçais, **La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age**, Aubier, paris, 1946.

3- HEnri laoust, **les schismes dans l'islam**, s.n.e.d, Alger, s.d.

4- Muhammad Abu-l-faraj al-ush, **Monnaies Aglabides**, Damas,1982.

5- Vonderheyden (M). **La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû l-Arlab (800 – 909)**, Librairie orientaliste Paul Geuthner, paris, 1927.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

ثانيا: فهرس الأماكن والبلدان

ثالثا: فهرس المجموعات والقبائل

رابعا: فهرس المحتويات

أولا: فهرس الأعلام

-حرف الألف-

-الآباء-

- أبو الأشرس عبد الرحمان: 101.
- أبو اسحاق السبائي: 84.
- أبو البشر محمد بن أحمد: 62.
- أبو بكر بن عياش: 100.
- أبو بكر الحازمي: 51.
- أبو بكر السوسي: 102.
- أبو بكر الصديق: 76.
- أبو بكر محمد بن اللباد: 46.
- أبو بكر محمد بن محمد: 65.
- أبو بكر الوكيل: 34.
- أبو بكر يحي بن حمزة: 65.
- أبو الجهم: 52.
- أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد: 38 – 46 – 65.
- أبو جعفر تميم: 54 – 73 – 74 – 87.

- أبو الحجاج سكن بن سعيد الصائغ: 61 – 107.

- أبو الحسن بن زياد: 73.

- أبو الحسن الخراط: 74.

- أبو حاتم يحيى بن خالد: 107.

- أبو حنيفة: 41 – 42.

- أبو خارجة: 101.

- أبو داود العطار: 65 – 100.

- أبو الربيع: 35 - 36.

- أبو زكريا الحفري: 99.

- أبو السميدع أحمد بن محمد: 65.

- أبو سليمان بن عيشون: 107.

- أبو سليمان ربيع بن سليمان: 84.

- أبو سليمان محمد بن عيشون: 63.

- أبو سنان زيد بن سنان: 4 – 106 – 107 – 109.

- أبو الطاهر: 107.

- أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي: 73.

- أبو عبد الله الشيعي: 23.

- أبو عبد الملك مروان: 84.

- أبو العرب: يتكرر ذكره كثيرا.
- أبو العباس الإبياني: 36.
- أبو العباس اسماعيل المنصور: 25.
- أبو العباس محمد: 53.
- أبو عثمان سعيد بن عمر: 63 – 99.
- أبو عمران موسى: 65.
- أبو عمرو هاشم بن مسرور: 35.
- أبو عياش بن موسى: 63.
- أبو عيسى مروان: 102.
- أبو الغصن السوسي: 54.
- أبو الفضل الممسي: 84.
- أبو القاسم عبد الرحمان البكري الصقلي: 74.
- أبو كريم عبد الرحمان: 109.
- أبو محمد بن أبي زيد: 73 – 74.
- أبو محمد عبد الله المهدي: 20.
- أبو محمد الورداني: 65.
- أبو معمر عباد: 76.
- أبو نجدة يزيد بن مجالد: 105.

- أبو الهيثم اللؤلؤي: 105.

- أبو يزيد رباح: 70.

- أبو يزيد: 25 – 41 - 44 - 84.

- أبو يحي حماد: 109.

- أبو يحي زكريا بن يحي: 106.

- أبو اليسر مطر بن بشار: 59.

- أبو يوسف جبلة بن حمود: 63.

-الأبناء-

- ابن أبي سليمان: 65.

- ابن أبي زاهر: 54.

- ابن الأبار: 52.

- ابن أشرس: 43 – 44 – 101.

- ابن الفرضي: 54.

- ابن فرحون: يتكرر ذكره كثيرا.

- ابن القاسم: 63.

- ابن حجر العسقلاني: 100.

- ابن حوقل: 31 – 32 – 33 – 37 – 38.

- ابن زياد: 44 – 70.

- ابن سماعة: 100.

- ابن عبد البر القرطبي: 51.

- ابن عذاري المراكشي: 21 – 36- 38 – 39 - 52.

-باقي حرف الألف-

- إبراهيم بن الأغلب: 53.

- إبراهيم بن أحمد: 36 – 53.

- إبراهيم بن عبد الجبار الدقاق: 65 – 99.

- إبراهيم بن علي: 11.

- إبراهيم بن محمد الضبي: 47.

- إبراهيم بن يحي: 65.

- إبراهيم بن يزيد: 100.

- إبراهيم الثاني: 20 – 21 – 22 – 36.

- أحمد بن أبي حاتم: 64 – 100.

- أحمد بن أبي خلف: 64 – 100.

- أحمد بن أبي سليمان: 99.

- أحمد بن أبي محرز: 106 – 109.

- أحمد بن اسحاق الأشعري: 66.

- أحمد بن تميم: 53 – 63 – 100 – 105.

- أحمد بن حسن: 63 – 99.

- أحمد بن حماد المعلم: 64 – 100.

- أحمد بن داود بن مسكين: 66.

- أحمد بن الزبير: 66.

- أحمد بن زيد: 66.

- أحمد بن سليمان: 99.

- أحمد بن عبد الرحمان: 46.

- أحمد بن عثمان المتوكل العماني: 66.

- أحمد بن عمر: 65.

- أحمد بن عيسى: 66.

- أحمد بن معتب: 62.

- أحمد بن مغيث: 66.

- أحمد بن محمد بن اسحاق: 66.

- أحمد بن مؤمن: 100 – 104.

- أحمد بن يزيد: 62 – 63 – 99.

- أحمد بكير محمود: 9.

- أحمد الطلمنكي: 94 – 96 – 97 – 114.

- اسحاق بن أبي عبد الملك: 101.

- أسد بن الفرات: 41 – 42 – 43 – 44 – 100.

- إسماعيل بن رباح: 108.

- إسماعيل بن نافع: 107.

- أشهب: 63 – 101.

- ألفرد بل: 94.

–حرف الباء–

- الباغندي: 76.

- البهلول بن راشد: 43 – 44.

- البهلول بن عمر: 109.

- بكر بن أحمد بن عبيد الفهري: 66.

- بكر بن حماد: 53 – 64 – 99 – 105 – 106.

- بجبج بن خداش: 68.

- بشر: 34.

- بشير البكوش: 8.

–حرف التاء–

- تمام بن تميم: 52 – 53 – 55 – 58.

- تميم بن تمام: 52.

–حرف الجيم–

- جبلة بن حمود الصدفي: 99.

- جعفر بن شنب: 93 – 94.

- جمال طه: 31.

–حرف الحاء–

- حبش بن الوليد: 105.

- حبيب بن نصر: 65 – 99.

- حسن حسني عبد الوهاب: 27 – 31 – 34.

- حسين مؤنس: 8.

- الحسن بن سعيد الخراط: 73.

- الحسن بن علي: 66.

- الحسن بن مسعود: 74.

- الحسين ابن سعيد: 73.

- الحارث بن نبهان: 76.

- حماس: 65.

- حمدون بن عبد الله: 68.

- حمديس القطان: 65 – 99.

–حرف الخاء–

- الخشني (محمد بن حارث): يتكرر ذكره كثيرا.

- خالد بن أبي عمران: 61 – 70 – 76 – 102.

- خالد بن نصر: 68.

–حرف الدال–

- الدباغ (عبد الرحمان): يتكرر ذكره كثيرا.

- دارم بن مالك: 68.

–حرف الراء–

- ربيع القطان: 73 – 74.

- روح: 106.

–حرف الزاي–

- زاهر بلفقيه: 55 – 86.

- زرارة بن عبد الله: 105.

- زكريا بن محمد: 109.

- زهير بن عباد الرواسي: 66.

- زياد السروي: 74.

- زيادة الله الثالث: 20 - 23.

- زيدان بن إسماعيل: 68.

-حرف السين-

- سليمان بن أبي عصفور: 47.

- سالم بن عبد الله: 61 – 70– 102.

- سحنون بن سعيد التنوخي: 3 – 40 – 43 – 44 – 54 – 59 – 60 – 62 – 78 – 79 – 80.

- سعيد بن الحداد: 46 -47 – 99.

- سعيد بن السرتي: 105 – 108.

- سعيد بن اسحاق: 65 – 99 – 105 – 106 – 107.

- سعيد بن حكمون: 68.

- سعيد بن سفيان: 66.

- سعيد بن شعبان: 66.

- سعيد بن شعيب: 66.

- سعيد بن مسرور: 68.

- سليمان بن سالم: 99 – 102 – 107.

- سليمان بن بسيل: 107.

- سليمان بن تميم: 53.

- سليمان بن عمران: 34 – 53 – 104.

- سليمان بن يسار: 61 – 70 – 99 – 102.

- سهل القبرياني: 65 – 100.

- سهل بن محمد الوراق: 68.

- السخاوي: 90.

- السيد عبد العزيز سالم: 31- 33.

- السيوطي: 76 – 90.

-حرف الشين-

- شجرة بن عيسى: 53.

- شهر بن حوشب: 99.

- شيبة بن زنون: 68.

- الشابي: 75 – 76 – 78 – 79 – 81 – 93 – 94 – 96 – 97 – 98 – 114.

- الشافعي: 45 – 46.

- الشذوني: 73.

- شقران: 58.

-حرف الصاد-

- صبرة: 54.

-حرف العين-

- العباس بن أحمد بن طولون: 22.

- عبد الله بن أبي حسان اليحصبي: 60.

- عبد الله بن أبي زكريا الحفري: 60 – 61 – 69 – 70 – 99 – 106.

- عبد الله بن أحمد بن طالب: 46 – 63.

- عبد الله بن الحكم البلوي: 4.

- عبد الله بن خليل: 64.

- عبد الله بن محمد الرعيني: 54.

- عبد الله بن زياد: 70.

- عبد الله بن عبد الملك: 66.

- عبد الله بن عبد الغافر الأندلسي: 66.

- عبد الله بن فروخ: 41 – 42 - 104.

- عبد الله بن محمد بن قاسم: 64.

- عبد الله بن المغيرة: 42 – 61 – 70 – 105.

- عبد الله بن الوليد: 107.

- عبد الله بن وهب: 41 – 42 - 101.

- عبد الله الثاني: 20 – 22.

- عبيد الله: 38 – 39.

- عبد الرحمان بن أبي مروان: 64 – 100.

- عبد الرحمان بن زياد: 60 – 69 – 78 – 99 - 102 – 108.

- عبد الرحمان بن عبيد: 66.

- عبد الرحمان بن القاسم: 101.

- عبد الرحمان بن محمد: 66.

- عبد الرحمان بن يسوتا: 104 – 108.

- عبد الرحمان بن يوسف: 64 – 100.

- عبد العزيز المجدوب: 41 - 42.

- عبد العزيز بن شيبة: 67.

- عبد الملك بن أبي كريمة: 107 – 109.

- عبد الملك بن حبيب: 70.

- عبد الملك بن الماجشون: 19.

- علي بن زياد: 43 – 109.

- علي بن يونس الليثي: 105.

- عمر بن عبد العزيز: 76.

- عمر بن يوسف: 68 – 99.

- عياض (القاضي): يتكرر ذكره كثيرا.

- عيسى بن سليمان: 54.

- عيسى بن محمد بن أبي المهاجر: 99.

- عيسى بن مسكين: 65 – 84.

- عون بن يوسف الخزاعي: 106.

- عبيد بن تميم: 54.

-حرف الغين-

- غانم بن سعيد: 107.

-حرف الفاء-

- فرات بن محمد: 41 - 60 – 61 – 99 – 100 – 102- 105.

- فاطمة الزهراء: 76.

-حرف القاف-

- القائم أبو القاسم محمد: 20 – 25.

- القاسم بن محمد: 61 – 70 – 102.

- قاسم بن عمرو بن صاعد: 68.

- قاسم بن مسعدة: 68.

- القاضي النعمان بن محمد: 47.

- القلقشندي: 52.

-حرف الكاف-

- كريم بن الحارث السهمي: 77.

-حرف الميم-

- محمد بن أبي سلمة: 67.

- محمد بن أبي شنب: 93 – 94 – 96 – 97 – 98 – 114.

- محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي: 64 – 70 – 100.

- محمد بن أبي يوسف: 68.

- محمد بن الحسن البغدادي: 67.

- محمد بن الحسن الشيباني: 41.

- محمد بن الفضل: 100 – 106.

- محمد بن القاسم الصدفي: 68.

- محمد بن الكلاعي: 47.

- محمد بن أبان الحميري: 67.

- محمد بن أحد الشركاء: 35.

- محمد بن أحمد البغدادي: 38.

- محمد بن أحمد بن اسحاق: 67.

- محمد بن أسامة بن صخر: 67.

- محمد بن اسحاق: 67.

- محمد بن بدر الجذامي: 99 – 102.

- محمد بن برغوث المقري: 68.

- محمد بن بسطام الضبي: 64 – 99.

- محمد بن حفص: 64 – 99.

- محمد بن خالد بن يزيد: 64 – 100.

- محمد بن سحنون: 3 – 4 – 6 – 13 – 14 – 85 – 100.

- محمد بن سليمان بن بسيل: 100.

- محمد بن عبد الله: 84.

- محمد بن عبيد الله: 67.

- محمد بن عبيد الأندلسي: 64.

- محمد بن عبد العزيز: 67.

- محمد بن عبادة السوسي: 67.

- محمد بن علي البجلي: 67.

- محمد بن علي الدغشي: 106.

- محمد بن علي الكوفي: 67.

- محمد بن عمر بن يوسف: 67.

- محمد بن قمود القابسي: 69.

- محمد بن مقاتل العكي: 52.

- محمد بن محمد الطرزي: 67.

- محمد بن مسكين: 65.

- محمد بن يزيد بن يحي: 67.

- محمد بن يسوتا: 104 – 108.

- محمد بن واقد الواقدي: 99 - 101.

- محمد الثاني: 20 - 21.

- محمد النيفر: 58 – 60 – 71 – 75 – 79 – 80 – 81 – 86 – 87 – 88.

- محمد محفوظ: 58 – 75 – 76 – 77 – 78 – 79 – 80 – 81 – 90.

- محمد مخلوف: 51 – 55 – 58 – 60 – 65 – 74 – 75 – 78 – 80 – 81.

- المالكي (أبو بكر): يتكرر ذكره كثيرا.

- مالك بن أنس: يتكرر ذكره كثيرا.

- مالك بن عيسى: 100.

- مروان بن أبي شحمة: 107 – 109.

- معاوية الصمادحي: 99 – 104.

- مقسم بن عبد الله: 106.

- ميمون بن عمرو: 61 – 100 – 105 – 107.

- المروزي: 76.

- المغامي: 54.

- المقدسي: 41.

-حرف الهاء-

- هارون الرشيد: 53- 58.

- هشام بن الخليل: 109.

-حرف الواو-

- واندرهايدن: 42.

-حرف الياء-

- يحي بن أبي عمرو ميمون: 35.

- يحي بن عبد الله: 67.

- يحي بن عبد العزيز: 68.

- يحي بن حمود: 67.

- يحي بن سعيد الأنصاري: 75 – 76.

- يحي بن سلام: 104.

- يحي بن عمر الكناني: 36 -45 – 62 – 99.

- يحي بن عوف: 68.

- يحي بن عون: 99.

- يحي بن محمد: 55 – 56 – 61 – 62 – 99.

- يحي بن مطرف: 99.

- يحي وهيب الجبوري: 75 – 76 – 78 – 79 – 80 – 81 – 86 – 87.

- يوسف بن أبي يعقوب: 68.

- يوسف بن يحي: 68 – 100.

- يونس بن محمد: 100.

- اليافي: 75 – 76 – 78 – 79 – 81 – 93 – 84 – 96 – 97 – 98 – 114.

- اليعقوبي: 27 – 28 – 31 – 32 – 33.

ثانيا: الأماكن والبلدان

–حرف الألف–

- الأندلس: 5 – 10 - 39 – 54 – 70 – 71 – 72.

- إفريقية: يتكرر ذكره كثيرا.

- إقليم الجزيرة: 37.

–حرف الباء–

- البصرة: 81.

- باجة: 33.

- بغداد: 53.

- بلاد الروم: 39.

- بلد الساحل: 32.

- بيروت: 9- 79 – 93.

–حرف التاء–

- تونس: يتكرر ذكره كثيرا.

-حرف الجيم-

- الجزائر: 40 – 93 – 94.

- جزيرة أبي شريك: 34.

-حرف الخاء-

- خراسان: 27.

-حرف الراء-

- رقادة: 45.

-حرف الزاي-

- الزاب: 21 – 53.

-حرف السين-

- السودان: 39.

- سوسة: 32 – 33 - 37.

-حرف الصاد-

- صفاقس: 32 – 37.

- صقلية: 7 – 14 – 21 – 22 – 27.

-حرف الطاد-

- طبرقة: 37.

-حرف العين-

- العباسية: 55.

- العراق: 10 – 41.

-حرف القاف-

- القطر التونسي: 98.

- القيروان: يتكرر ذكره كثيرا.

- قابس: 32 – 33 – 37 – 38.

- قرطاجنة: 32.

- قرطبة: 54.

- قسطيلية: 32.

- قفصة: 32.

-حرف الكاف-

- الكوفة: 41.

-حرف الميم-

- مجانة: 33.

- المدينة المنورة: 10 – 41 – 43 – 71.

- المدية: 94.

- المشرق الإسلامي: 40.

- المشرق: 4 – 23 – 72.

- مصر: 12 – 39 – 71 – 104.

- المغرب الإسلامي: 3 – 7 – 8 – 11 – 16 – 43.

- المغرب الأوسط: 40.

- المغرب العربي: 93.

- المغرب: يتكرر ذكره كثيرا.

- مكة: 71.

- منزل باشوا: 37.

- المهدية: 31 – 32 – 37 – 39 – 84.

ثالثا: المجموعات والقبائل

–حرف الألف–

- الأندلسيين: 37.

- الإباضيين: 25.

- الإباضية النكار: 25.

- الإباضية: 40 – 41.

- أهل البصرة: 81.

- أهل السنة: 26 – 85.

- أهل العلم: 79 – 84.

- آل البيت: 47.

–حرف الباء–

- البربر: 21 – 27 – 28 – 108.

- البيزنطيين: 27 – 28.

- بنو الأغلب: 85.

- بنو تميم: 51 – 52 – 79.

- بنو عبيد: 26 – 39 – 44 – 84.

- بنو هاشم: 27.

–حرف التاء–

- الأتراك: 43.

- التونسيين: 75.

- تميم: 51 – 79.

–حرف الحاء–

- الأحناف: 43 – 46.

–حرف الخاء–

- الخدم: 36.

-حرف الراء-

- الرافضة: 84.

- الروم: 28 – 30 - 39.

- ربيعة: 27.

-حرف الزاي-

- الزنوج: 30.

-حرف السين-

- السنة المالكيين: 84.

-حرف الشين-

- الشيعة: 46 – 47 – 71 – 84.

-حرف الصاد-

- الصفرية: 41.

- الصقالبة: 30.

-حرف الطاد-

- طابخة: 52.

-حرف العين-

- العباسيين: 52 – 53.

- العبيد: 29 – 36.

- العبيديين: 20.

- العجم: 27.

- العرب: 51 – 81.

-حرف الغين-

- الأغالبة: يتكرر ذكره كثيرا.

- الغلمان: 36.

- غزية: 52.

-حرف الفاء-

- الفاطميون: يتكرر ذكره كثيرا.

-حرف القاف-

- قحطان: 27.

- قريش: 27.

-حرف الكاف-

- الكوفيين: 43.

-حرف الميم-

- المالكية: يتكرر ذكره كثيرا.

- المشارقة: 34 – 46.

- المسلمين: 12.

- مضر: 27.

- المعتزلة: 42 – 46.

- المغاربة: 10 – 26 – 84.

–حرف النون–

- النصارى: 30.

–حرف الهاء–

- هذيل: 52.

–حرف الياء–

- اليهود: 27 – 30 – 38.

فهرس المحتويات

فهرس المحويات

المحتوى **الصفحة**

مقدمة: ..... **ب– ش**

الفصل الأول: كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب وبعد وفاته (دراسة نماذج)

المبحث الأول: كتب تراجم المالكية قبل وفاة أبي العرب(ق:3-4هـ/9-10م)

أولا: طبقات العلماء لمحمد بن سحنون(ت 256هـ/869م) **3**

ثانيا: علماء إفريقية لمحمد بن حارث الخشني(ت بعد 381هـ/991م) **5**

المبحث الثاني: كتب تراجم المالكية بعد وفاة أبي العرب (ق: 5-8هـ/11-14م)

أولا: رياض النفوس لأبي بكر المالكي وترتيب المدارك للقاضي عياض **7**

أ– "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م) **7**

ب– "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م) **8**

ثانيا: معالم الإيمان للدباغ والديباج المذهب لابن فرحون **10**

أ– "معالم الإيمان" للدباغ (ت 696هـ/1296م) **10**

ب– "الديباج المذهب" لابن فرحون (ت 799هـ/1396م) **11**

المبحث الثالث: المعرفة التاريخية في النماذج المختارة

أولا: التاريخ السياسي والاقتصادي **13**

ثانيا: التاريخ الاجتماعي والثقافي **16**

ثالثا: التاريخ الإداري والعسكري **17**

الفصل الثاني: أوضاع إفريقية العامة بلد أبي العرب

المبحث الأول: الأوضاع السياسية **20**

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية **27**

المبحث الثالث: الحياة الدينية والفكرية **40**

الفصل الثالث: المفصل في حياة أبي العرب

المبحث الأول: التعريف بأبي العرب

المطلب الأول: اسمه وأصله ونسبه **51**

المطلب الثاني: مولده ونشأته **55**

المطلب الثالث: وفاته **58**

المبحث الثاني: سيرته العلمية

المطلب الأول: تعلُّمه وشيوخه ورحلاته **59**

المطلب الثاني: تلامذته **73**

المطلب الثالث: مؤلفاته **75**

المبحث الثالث: جوانب أخرى في حياة أبي العرب

المطلب الأول: عمله ومصدر رزقه **82**

المطلب الثاني: دفاعه عن ثوابته **84**

المطلب الثالث: شاعريته وثناء العلماء عليه **86**

الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لكتاب طبقات علماء إفريقية وتونس

المبحث الأول: التعريف بالكتاب

المطلب الأول: الأصول الخطية للكتاب **93**

المطلب الثاني: تحقيق الكتاب **96**

المطلب الثالث: عنوان الكتاب **98**

المبحث الثاني: موارد أبي العرب في كتابه طبقات علماء إفريقية وتونس

المطلب الأول: الموارد الصريحة **99**

أولا: أشخاص نقل عنهم **99**

ثانيا: كتب طالعها واستفاد منها **101**

ثالثا: حضوره الشخصي واستقصاؤه أحوال المترجم لهم **104**

المطلب الثاني: الموارد المجهولة **108**

المطلب الثالث: توظيف أبي العرب لموارده في كتابه **110**

المبحث الثالث: تقسيم الكتاب

المطلب الأول: أبو العرب والتراجم الواردة في كتابه **114**

المطلب الثاني: ملاحظات حول التراجم **116**

أولا: الطول والقصر **116**

ثانيا: الاستطراد والخروج عن حدود الترجمة **117**

ثالثا: صياغة معلومات الترجمة **118**

خاتمة: **121**

ثبت المصادر والمراجع: **125**

الفهارس: **140**

أولا: فهرس الأعلام.....**141**

ثانيا: فهرس الأماكن والبلدان.....**159**

ثالثا: فهرس المجموعات والقبائل.....**162**

رابعا: فهرس المحتويات..... **168**